السنة الثامنة والاربعون — تشرين الثاني – كانون الاول ١٩٥٠

صحف الكتابة وصناعة الورق في الاسلام (تابع)

بقلم حبيب زيات †

١٨ ـ الورق الخراساني

عند ابن النديم ان الورق الخُراساني كان يعمل من الكتان[1] ولا نحال ان هذا الرأي كان صحيحاً باجماله لان خراسان كانت اكثر الامصار قطناً ولذلك قال الجاحظ: «قد علم الناس ان القطن خُراسان وان الكتان لمصر ثم للناس من ذلك في تفاريق البلدان ما لا يبلغ مقداره في بعض هذين المرضعين»[2] وكانت نيسابور وحدها تنسج من القطن من الثياب «ما ينقل الى سائر بلاد الاسلام وبعض بلاد الشرك لكثرتها وجودتها»[3] وكان في مرو ايضاً القطن اللين والثياب التي تجهّز الى الآفاق[4] فمن الغريب جداً ان لا يكون

١) الفهرست ٣٢
٢) لطائف المعارف للثعالبي ليدن ٩٧.
٣) مسالك الممالك للاصطخري ٢٥٥–٢٥٦
٤) مسالك الممالك ٢٦٣

احد من الوراقين تنبه لاصطناع الورق من خرق القطن على كثرتها عندهم ورخصها.

ولا نعلم بالضبط اي المدن في خراسان كانت متخصصة بعمل الورق وقد نُسب منها على جيهان واليها ينسب الورق الجيهاني روى ياقوت قول محمد الهروي: كتب لي ابو الفضل بن ابي سعد بخط يده طبقاً من حديثه على الورق الجيهاني الكبير[1].

ولا يبعد ايضاً ان صناعة الورق كانت شائعة في نيسابور وقد تقدم ذكر بعض من كان مشهوراً بالكاغدي من اهل نيسابور. ومن المدن التي أطلق عليها بالفارسية اسم صناعة الورق الخراساني خوارزم من اعمال اذربيجان قال ياقوت تسمّى الآن « كاغد كنان » اي صنّاع الكاغد[2].

واكثر ما كان ينسب الورق الى امراء خراسان وولاتها وعدّ ابن النديم من انواعه: السليماني والطلحي والنوحي والفرعوني والجعفري والطاهري[3].

وكان السليماني اول ما عرف منها وهو منسوب فيما يظهر الى سليمان بن راشد كان يلي الخراج في خراسان في خلافة هرون الرشيد[4] وكان الوراقون والناسخ يرغبونه لنسخ الكتب وهي تعرف احياناً بذكر عدد اوراقها يقول ابن النديم: المرزباني له من الكتب كتاب عدد ورقه عشرة آلاف بخطه في سليماني فيه اخبار الشعراء المذكورين[5] وقول ياقوت: ابو سعيد السيرافي له شرح كتاب سيبويه في ثلاثة آلاف ورقة بخطه في السليماني[6] قال ابن النديم: واما يعنون بالورقة ان تكون سليمانية ومقدار ما فيها عشرون سطراً في صفحة الورقة[7].

وهذا التنبيه جليل الفائدة. وفي بعض الاقوال ان الصحيفة السليمانية كانت قريباً من ٣٢ سنتمتراً طولاً و٢٤ عرضاً. ومن اشار الى عرضها هلال

١) معجم البلدان ٢: ٩٥
٢) معجم البلدان ٢: ٥٠
٣) الفهرست ٣٢
٤) تاريخ الطبري مطبعة الاستقامة القاهرة ٦: ٥٢٩
٥) الفهرست ١٩
٦) ارشاد الاريب ٨٧
٧) الفهرست ٢٢٧

بن المحسن الصابئ في كلامه على الكتب السلطانية قال :

« الذي جرت به العادة القديمة في الكتب السلطانية ان تكون في القراطيس المصرية الريضة فلما انقطع عملها وتعذر وجودها عدل الى الكاغد السليماني[1] الريض هذا في كتب العهود والولايات والالقاب وما يكتب به الى اصحاب الاطراف وما يكتبون به . فاما ما يجري من الخليفة مجرى التوقيع من وزيره المقيم بحضرته مجرى المطالعة فالمستحب فيه الكاغد النصفي »[2] .

ويغلب على الظن انه اراد بالكاغد النصفي الورق الطلحي نسبة الى طلحة بن طاهر امير خراسان اقام والياً عليها في ايام المأمون سبع سنين[3] . وكان الطلحي اكثر ما يتخذ انصافاً لكتابة الاجزاء . قال ابن النديم « الذي رأيت من شعر ابي العتاهية بالموصل نيف وعشرون جزءاً انصاف الطلحي »[4] . ورأى ايضاً كتاب القبائل الكبيرة والايام لمحمد بن حبيب في طلحي نيف وعشرين جزءاً في كل جزء مائتا ورقة واكثر ولهذه النسخة فهرست لما يحتويه القبائل والايام في طلحي نحو خمسة عشر ورقاً »[5] .

ولا يخفى ان لفظ الطلحية للمدرج من الورق آت من قطع الطلحي قديماً . ويراد بالدرج قطع طويل من الورق يكتب فيه ويُلفّ . ويظهر انه كان يسمّى ايضاً بالطَبَق . وقد وردت هذه التسمية في بعض الاقوال القديمة ومنها قول السمعاني في كلامه على قصيدة ابن دريد المشهورة :

« اما ترى رأسي حاكى لونه طرة صبح تحت اذيال الدجى »

سمعت ابا العباس بن ميكال يذكر صلة ابيه للدريدي في انشائه القصيدة قال لم تصل يدي اذ ذاك الا الى ثلثمائة دينار صبتها في طبق كاغد ووضعتها بين يديه »[6] .

وكان الدرج لا يكفي الكتابة احياناً كثيرة في الدواوين فكانت تُلصق

---

١) في الاصل المخطوط « الكاغد السيطاني » وهو من تحريف الناسخ

٢) رسوم دار الخلافة . تحقيق ميخائيل عواد بغداد ١٧٨

٣) تاريخ الامم والملوك للطبري . مطبعة الاستقامة بالقاهرة ٧ : ١٧٠

٤) الفهرست ٣٣٧

٥) ارشاد الاريب ٦ : ٤٧٦ ؛ والفهرست ١٥٦

٦) انساب السمعاني ٥٥٠–٥٥١

له اوصال متعددة حسب الحاجة . وفي النثر والنظم امثال كثيرة عليه ومن لطائف السراج الوراق في التورية :

نصب الحشا غرضاً فقرطس اذ رمى وهي القلوب سهامها الاحداق
وسألته وصلا فقال بمجتني يا ليت شعري من هو الوراق ؟

وورد قليلاً ذكر الورق الفرعوني كقول الجوزجاني عن ابن سينا :« امرني الشيخ باحضار البياض وتطع اجزاء منه فشددت خمسة اجزاء كل واحد منها عشرة اوراق بالربع الفرعوني »[٢] ويظهر ان الفرعوني كان معروفاً بسعة الطول والعرض فكان يختاره من اراد الاقتصاد والتدقيق في الكتابة كفعل اصحاب الحديث . قال صالح جزرة.« شارطت هشام بن عمار على ان اقرأ عليه كل ليلة بانتخابي ورقة فكنت آخذ الكاغد الفرعوني واكتب مقرمطاً فكان اذا جاء الليل اقرأ عليه فيقول : يا صالح ليس هذه ورقة . هذه شقة»[٣] ولابي حيان التوحيدي كلام مسرّدة مثالب الوزيرين في « دست كاغد فرعوني »[٤] . ولم نجد لاحد قولاً في تعليل نسبة الفرعوني .

وكذلك اخطأنا التوفيق في ارتياد بعض شواهد الكاغد النوحي والجعفري والطاهري. والاول تترجح نسبته الى نوح بن سامان احد امرائي الدولة السامانية المشهورة . واولى ما يبدر الى الذهن ان الجعفري قد يكون منسوباً الى جعفر بن يحيى البرمكي . ولكن من الغريب ان يعرف الكاغد باسم جعفر ويحرم منه اخوه الفضل الذي كان اول من اشار بصناعته . ولا شكّ ان الطاهري معزوّ الى الدولة الطاهرية في خراسان .

وممّا يدل على قيمة الورق الطلحي انه كان يُجعل في جملة الهدايا الى الملوك قال الامير المختار المسبّحي:« في يوم الاثنين لثمان من صفر (سنة ٤١٥ — ١٠٢٤) اهدى الرسول العجمي المقدم ذكره الى الحضرة المطهّرة نحو الخمسعشرة ناقة محملة ورقاً طلحياً واهليلجاً وغير ذلك »[٥] .

١) خزانة الادب لابن حجة الحموي طبعة القاهرة ١٣٠٦ ص ٢٤٥
٢) عيون الانباء لابن ابي اصيبعة ٣ : ٨ وتاريخ حكماء الاسلام للبيهقي ٦٦
٣) تاريخ بغداد للخطيب ٩ : ٣٢٦
٤) الامتاع والمؤانسة طبعة القاهرة سنة ١٩٣٩ ج ١ : ٦١
٥) جزء من اخبار مصر وفضائلها ومحاسنها وطرائفها وعجائبها تصنيف الامير المختار

وكانت هذه الكواغد الخراسانية لاتساع مقاييسها تجزأ ايضاً الى اثمان فضلاً عن الاسداس . ومن شواهد الاثمان قول الخطيب البغدادي :» كان الحافظ الصوري دقيق الخط صحيح النقل . حدثني انه كان يكتب في الوجهة من ثمن الكاغد الخراساني ثمانين سطراً «[1] . لا شك بخط مقرمط كخط المحدثين . ومنها ايضاً قول ابي عبيد الجوزجاني في كلامه على كتاب الشفا. لابن سينا :» كتب الشيخ في قريب من عشرين جزءاً على الثمن بخطه رؤوس المسائل «[2] .

١٩ ــ الورق البغدادي

وصف القلقشندي الورق البغدادي فقال :

» هو ورق ثخين مع ليونته ورقة حاشيته وتناسب اجزائه ولا يكتب فيه في الغالب الا المصاحف الشريفة[3] . وفيه كانت تكتب خصوصاً عهود الخلفا. وبيعاتهم وعهود اكابر الملوك والمكاتبات الى الطبقات العليا من الملوك كاكابر القانات من ملوك الشرق[4] وكانت قاعدة ديوان الإنشا. انه كلما كبر قطع الورق في المكاتبات كان تعظيماً للمكتوب اليه بدليل ان كل من عظم مقداره من الملوك كان قطع الورق في مكاتبته اكبر[5] .

قال : وكان الورق البغدادي على قطعين : كامل وناقص . وفي الكامل تكتب الكتابات السلطانية من العهود ومراسلات الملوك والدرج منه مركب من عدة اوصال وهو في عرف الزمان عبارة عن عشرين وصلا متلاصقة لا غير[6] . وكانت اوصال الورق في الزمن المتقدم طويلة فكان يكتب في كل وصل

عبد الملك محمد بن عبيد الله بن احمد بن اسماعيل بن عبد العزيز المسبحي رقم ٥٣٦ من خزانة الاسكريال في اسبانية ١٤٨

١) تذكرة الحفاظ للذهبي ٣:٢٩٤

٢) عيون الانباء ٢:٦

٣) صبح الاعشى ٣:٤٧٦

٤) » » ٦:١٩٠

٥) » » ١:١٥٥

٦) » » ١:١٣٨

ثلاثة اسطر وبين كل سطرين اكثر من عرض ثلاثة اصابع ثم قصرت الاوصال وصار كل وصل لا يسع في الغالب اكثر من سطرين[1] وطول كل وصل من الدرج المذكور ذراع ونصف بذراع القماش المصري[2] .

وهذه الاقيسة والمقادير هي التي استقر عليها مصطلح الديوان الشريف في مصر في المئة الثامنة للهجرة في ايام القلقشندي . ويؤخذ من كلام الصابئ ان طول الوصل في القرن الثالث كان ثلاثين ذراعا اي طول الدرج في عهد المماليك قال : استدعى ابو الحسن بن الفرات في بعض الايام ابا علي بن مقلة وابا عبدالله والد ابي القاسم بن زنجي وقال لابي علي : استدع قرطاساً يكتب فيه فاحضر صاحب الدواة ثلث القرطاس ... واستدعى ابو علي ثلثاً آخر واستتم الامر فيه وفي ما اراد خطابه في معانيه فكان ذرع الثلثين اللذين كتب فيهما نحو ستين ذراعاً[3] .

واما عرض الدرج الكامل فقد ذكر القلقشندي مرة انه ذراع واحد بذراع القماش المصري[4] ومرة اخرى انه ثلاثة اشبار وخمسة اصابع وطول الوصل كذلك[5] .

« وكان عرض الدرج البغدادي الناقص دون عرض البغدادي الكامل باربعة اصابع مطبوقة وفيه يكتب للطبقة الثانية من الملوك وربما كتب فيه للطبقة العليا لاعواز البغدادي الكامل[6] » ولم يذكر ما كان طوله وانما سمي الناقص لانه كان دون الكامل وهو المعوّل عليه في المكاتبات والمعاملات والمعنيّ دائماً في كتب المصطلح الشريف بقولهم « قطع العادة » .

ويترجح انه كان للورق البغدادي انواع كما كان للخراساني ومنها نوع كان يقال له « المأموني » لعله نسب الى الخليفة العباسي المأمون ان لم يكن

---

١) صبح الاعشى ٧ : ٢١٧
٢) » » ٦ : ١٩٠
٣) تاريخ الوزراء ٢٣٩
٤) صبح الاعشى ٦ : ١٩٠
٥) » » ١٠ : ١٥٣
٦) صبح الاعشى ٦ : ١٩٠

لمقترح له بهذا الاسم من الوراقين في الاعصر الاولى قال ياقوت: كان ابو الحسن بن طباطبا مشتاقاً الى عبدالله بن المعتز متمنيا ان يلقاه او يرى شعره ... وقد حملت الى بغداد نسخة من شعر عبد الله بن المعتز فاستعارها ... وتمكن من النظر فيها وخرج وطلب محبرة وكاغدا واخذ يكتب عن ظهر قلبه مقطعات من الشعر حتى فرغ من نسخها وملأ منها خمس ورقات من نصف المأموني وأحصيت الابيات فبلغ عددها مئة وسبعة وثمانين بيتاً تحفظها من شعر ابن المعتز في ذلك المجلس[1] ». ولايخفى ما في هذا الحفظ من الغرابة واذا صح وزال كل ارتياب فيه يكون كل نصف من المأموني اتسع لما ينيف قليلاً عن ٣٧ سطراً وهو دليل على سعة قياس هذا النوع من الكاغد.

ولم يتفق مرة لاحد كتاب المصطلح الشريف في كلامهم على انواع الورق المستعمل في دواوين الانشاء وذكر قطعه واقيسته ان يشيروا الى اوزان الدروج منه لنعلم منها مقدار ثخانته او رقته. وكان يعمل منه في بغداد نوع غليظ يبلغ احياناً ثلاث مرار او اربعاً سمك الورق العادي لان بعض النقلة والنساخ كانوا يختارونه لطول بقائه على الدهر وهو الورق الذي كان يكتب فيه حنين بن اسحق اليبادي ما استخرجه من مؤلفات اليونان. قال: « كنت اذا نقلت لاحدهم كتاباً اخذت منه وزنه دراهم » وكان المأمون يعطيه من الذهب زِنة ما ينقله من الكتب الى العربي مِثلًا بمثل[2] وقد وُفّق ابن ابي اصيبعة في ايامه للحصول على بعض هذه المخطوطات القديمة ووصفها بقوله: هي مكتوبة بولد الكوفي بخط الازرق كاتب حنين وهي حروف كبار بخط غليظ في اسطر متفرقة وورقها كل ورقة منها بغلظ ما يكون من هذه الاوراق المصنوعة وقتئذ ثلاث ورقات او اربع وذلك في تقطيع مثل ثُلث البغدادي وكان قصد حنين بذلك تعظيم حجم الكتاب وتكثير وزنه لاجل ما يُقابَل به من وزنه دراهم وكان ذلك الورق يستعمله بالقصد ولا جرم ان لغلظه بقي هذه السنين المتطاولة من الزمان »[3].

وقد فاتنا ايضاً معرفة اثمان الورق البغدادي واختلافها بين ارتفاع وهبوط

١) ارشاد الاريب ٦: ٢٨٥

٢) عيون الانباء ١: ١٩٧

بحسب القلة والكثرة والازمنة والاحوال وقلما اشير الى رخصها وهو مـا جـ. مرة في تاريخ الخطيب البغدادي في كلامه على رجال المئة الثالثة للهجرة قال : جاء صبيان الى محمد بن غالب التمتام فقالوا : يا أبا جعفر أخرج القماطر فنحن بنادرة الحديث فقال : اكتبوا — لا خيّركم الله — فاخرجوا كاغدًا ردئًا فقال لهم التمتام : يا بني الكاغد رخيص ببغداد فلو كتبتموه في كاغد اجود من هذا فقالوا : يا ابا جعفر انما نكتب في الكواغد على قدر الشيوخ[1] .

وكانت وفاة التمتام سنة ٢٨٣/٨٩٦ ولكن يتحصل من عدة دلائل اخرى ان الورق كان اقرب الى الغلاء لشدة الطلب له وقد سبق ان اسعاره كانت ترتفع كلما ولي ابو الحسن بن الفرات الوزارة لوفرة ما كان يهب منه كل من دخل داره . قال ابو الحسن ثابت بن سنان : انا اذكر انه كلمـا تقلد ابو الحسن بن الفرات الوزارة زاد سعر الثلج والشمع والقراطيس زيادة مفرطـة وافرة وكان ذلك متعارفًا عند التجار[2] ». وكان معنى القراطيس وقتئذ قـد بدأ يتناول كل انواع الصحف والمراد به هنا الورق المنصوري حسبما نقلناه آنفًا من قول الصابئ او الكاغد باجماله كما حُكي عن المقتدر بالله انه « امر يُتمًا الطولوني — وكانت اليه الشرطة ببغداد — الا يكلف الناس ثمن الكاغد الذي تكتب فيه القصص وان يقوم به »[3] ويعني بالقصص هنا الرقاع او العرائض التي كانت ترفع الى ولاة الامور في حوائج المتظلمين .

وقد تقدم ان المصطلح عليه قديمًا من الورق قطع الثلثين والنصف والثلث والربع والسدس واحيانًا الثمن . وكان ثمن البغـدادي يستعمل للنسخ بالخط الدقيق كما ذكرناه من الثمن الخراساني قال ابن اصيبعة في ترجمة شمس الدين الخـروشاهي : رأيته يومًا وقد اتى اليه بعض فقهاء العجم بكتاب دقيق الخط ثمن البغدادي معتزلي التقطيع »[4] وربما كتب ايضًا في قطع نصف ثمن البغدادي في الاجزاء الصغار . وممن كان شديد الرغبة فيه خصوصًا اسعد بن الياس بن

١) تاريخ بغداد ٣ : ١٤٧
٢) تاريخ بغداد لابن النجار ٢١٣١ باريس ٢٥
٣) صلة الطبري لمريب ٧١
٤) عيون الانباء ٣ : ١٧٣

المطران الرومي الملكي طبيب صلاح الدين الايوبي وكان صلاح الدين ضنينا به يحترمه ويجله لما تحققه من علمه وحسن علاجه وما زال به حتى حمله على الاسلام وانبه موفق الدين وكان لديه عدة مقالات متفرقة في الطب ومنها جملة في مجلد واحد «فاستنسخ كلًا منها بذاته في جزء صغير قطع نصف ثمن البغدادي بسطرة واضحة وكتب بخطه ايضاً عدة منها واجتمع عنده من تلك الاجزاء الصغار مجلدات كثيرة جدا فكان ابدًا لا يفارق في كمه مجلدًا يطالعه على باب دار السلطان او اين توجه . وبعد وفاته بيعت جميع كتبه . . . واخرجوا من هذه الاجزاء الصغار الوفًا كثيرة اكثرها بخط ابن الجمالة وان القاضي الفاضل بعث يستعرضها فبعثوا اليه بل. خزانة صغيرة على ما وُجدت كذلك فنظر فيها ثم ردها فبانت في المناداة ثلاثة آلاف درهم . . . وحصل الاتفاق مع الورثة في بيعها انهم اطلقوا بيع كل جزء منها بدرهم فاشترى الاطباء منهم هذه الاجزاء الصغار على هذا الثمن بالعدد»[1] .

وكان ببغداد سوق للصاغة تليها سوق للوراقين كبيرة وهي مجالس العلماء والشعراء.[2] وفي سنة ٢٧٦ / ٨٨٩ كانت حوانيت الوراقين في ربض وضاح المعروف بقصر وضاح الذي قال فيه علي بن الجهم :

سقى الله باب الكرخ من متنزّه الى قصر وضاح فبركة زاول

قال ابن واضح المعروف باليعقوبي : اكثر من فيه في هذا الوقت الوراقون اصحاب الكتب فان به اكثر من مئة حانوت للوراقين»[3] ونقل القزويني ان بالكرخ دكاكين الكاغد والثياب الابريسمية[4] ولكن لم يدل احد على مواضع الوراقات التي سبقت القرن السابع للهجرة وقد آل امرها حينئذ ان تكون في آخر خراب بغداد بعد اجتياح التتار للمدينة . قال ياقوت في تعريفه محلة جهارسوخ اي المربعة في قبلة الحربية : «خرب ما حولها من المحال وبقيت هي والنصرية والعتابون ودار القز متصلة بعضها ببعض كالمدينة المفردة في آخر خراب

١) عيون الانباء ٢ : ١٧٨–١٧٩
٢) مناقب بغداد لابن الجوزي ٣٦
٣) كتاب البلدان . ليدن ٢٦٥
٤) معجم البلدان ٢ : ١٦٧ و٥٢٢

بغداد بعمل في هذه المحال في ايامنا هذه الكاغد[1] .

وليس لدينا ايضاً الا لمع ضئيلة الى ما اصاب الوراقات والوراقين قبل مجيء التتار من الاضرار والخسائر في الفتن التي كانت تنتاب بغداد بين السنة والشيعة وما كانت تلتهمه النيران في كل حريق من معامل الكاغد وحوانيته واوجز ما وقفنا عليه من اخبارها قول الصولي : «في سنة ٣٣٢ (٩٤٤ م) في ذي القعدة وقع في هذا الشهر بالكرخ حريق عظيم من حد طاق التكك الى الساكين وعطف على اصحاب الكاغد واصحاب النعال»[2] .

وفي سنة ٧٥٧/١٣٥٦ توفي حسن بك بن الحسين بن ايغا بن ايلكان السلطان الكبير الحاكم على بغداد قال الصفدي : وجرى في ايامه ببغداد الغلاء العظيم حتى أبيع الخبز على ما قيل بصنج الدراهم وتزح الناس من بغداد وعدم منها الورق وكان يجلب منها الى الشام ومصر وغيرهما »[3] .

قال السمعاني : وقد يقال لمن يبيع الورق ببغداد الوراق ايضاً وهو اسم من يكتب المصاحف وكتب الحديث وغيرها »[4] . ومن نسب فيها الى بيع الكاغد او عمله : احمد بن علي الكاغدي ابو عبد الله يعرف بابن اخت علوي من اهل محلة دار القز توفي سنة ٥٤٦«[5] (١١٥١ م) واحمد بن علي بن ابي الجرد ابو العباس بن ابي الحسن القاسم الكاغدي من ساكني محلة العتابيين اخو ابي القاسم المبارك الكاغدي مات سنة ٦١٣[6] (١٢١٦ م) والحسن بن ناصر الكاغدي وابو بكر بن عمر الكاغدي من المحدثين[7] .

وقد تقدم من كلام القلقشندي ان الورق البغدادي كان يكتب فيه في الغالب المصاحف الشريفة ومن اشتهر بكتابتها محمد بن شريف بن يوسف الشيخ الكاتب شرف الدين المعروف بابن الوحيد صاحب الخط الفائق ... كان قد اتصل بخدمة الامير بيبرس الجاشنكير واعجبه خطه فكتب له ختمة في سبعة

١) معجم البلدان ٤ : ١٦٧ و ٢٢٠ .
٢) كتاب الاوراق ٢٦١
٣) ذيل ابن قاضي شهبة ١٥٩٨ باريس ١٤٠
٤) كتاب الانساب ٥٧٩
٥ و ٦) تاريخ بغداد للذيلي ٢١٣٣ باريس ٣٢ و ٤١
٧) تاريخ بغداد لابن النجار ٢١٣١ باريس ٣٨ و ١١٦

اجزاء بليغة ذهبية في قطع البغدادي فاعطاه بيرس الجاشنكير برسم الليقة ٤ غير الفا وستمائة دينار وقيل الف واربعمائة فقيل له في ذلك فقال : متى يعود آخر مثل هذا يكتب مثل هذه الختمة »[1] .

٢٠ ـ الورق الشامي

كانت صناعة الورق في الشام قديماً اعم منها في العراق ومصر وعرف بها من مدنه :

دمشق وحماة وحلب ومنبج وطرابلس وطبرية وفي بعض الاقوال عسقلان ايضاً .

ولا يعلم بالضبط متى بدأ عمل الورق في وادي بردى ويظهر انه نقل اليها من حماة ولذلك اشتهر فيها الورق الحموي في كل زمان وقد ذكر البشاري المقدسي الورق في جملة ارتفاعات دمشق في المئة الرابعة للهجرة[2] اي في جملة ما يستخرج منها ويحمل الى الشرق واليمن والحجاز وبلاد الروم وعرف في الغرب سنة ٩٨٥ اى ٤٨٥ للهجرة ويدعى عندهم Charta Damascena ومما ساعد على انتشار هذه الصناعة في قاعدة الخلافة الاموية كثرة الانهار فيها وتعدد زراعات القنب ولا تزال اقتاب القنب ترد كل يوم الى المدينة وتباع على الافران للوقيد وتفتل من قشورها الحبال والامراس وظل الكاغد يعمل فيها الى ايام البدري في المئة التاسعة وعده بين القافات التي كانت في زمانه تحمل من دمشق الى مصر قال : وفيها تعمل صناعة القرطاس يحسن صقاله ونقي اوصاله[3] .

ويظهر انه كان دون البغدادي في الرتبة قال احد مؤرخي المصطلح الشريف في القرن التاسع :

«هو ثلاثة انواع :

النوع الاول : الحموي وقد صار ذلك علماً عليه لانه كان مبتدأ عمله بمدينة حماة ثم نقل عمله الى مدينة دمشق واستعماله بديوان الانشاء نادر .

---

١) المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي لابن تغري بردي في الجامعة العبرية في القدس مجلد مصور عن نسخة مصر ٦ : ١٦٧

٢) احسن التقاسيم ١٨١

٣) محاسن الشام ٣٦٣-٣٦٤

النوع الثاني : الورق الشامي المشهور وتسمى الفرخة منه في البلاد الشامية « طلحاً » والدست « كفة » وهو المستعمل بدواوين الممالك الشامية وبلاد المشرق واقليم اليمن والروم والاقطار المجاورة ويستعمل في الدواوين الشريفة في المرسومات والتذاكر والقوائم وبديوان الانشاء في الدفتر خاصة وربما استعمل بالديوان في المكاتبات والولايات ولا يكون ذلك الا في السفر في الركاب الشريف عند عدم الورق المصري ويستأذن كاتم السر السلطان على استعماله بديوان الانشاء ويأخذ بالاذن له مرسوماً شريفاً ربما لان الورق المصري له مهابة عند جميع الملوك والممالك ويختص بالكتابة بالورق الاحمر الواردة على الابواب الشريفة كافل السلطنة الشريفة بالشام ونائب الكرك ليس الا .

النوع الثالث : ورق الطير وربما قيل ورق البطائق وهو غاية ما يكون من رقة الحاشية والفرخة منه زنة درهم ونصف ويستعمل في ديوان الانشاء فيالملطفات والبطائق لا غير»(١) .

ويؤخذ مما تقدم ان الورق الشامي كان منه لونان ابيض واحمر ولكل منهما استعمال خاص وممن ذكرهما ايضاً القلقشندي في كلامه على المطالعات الواردة من اكابر اهل الدولة بالديار المصرية والبلاد الشامية من النواب ومن في معناهم فقال :

« قد جرت عادة من يكتب الى الابواب السلطانية من اهل هذه الرتبة ان يكتب جميعهم كتبهم في قطع العادة فان كان بالديار المصرية فمن الورق البلدي وان كان بالبلاد الشامية فمن الورق الشامي وجميع ذلك فيالورق الابيض الا نائب الشام ونائب الكرك فانهما قد جرت العادة فيها بانهما يكتبان الى الابواب السلطانية في الورق الاحمر الشامي شيء اختصا به دون سائر اهل المملكة » (٢ .

واخبر عمن يوثق به انه رأى عهد المعتضد بالله والمتوكل على الله من خلفاء مصر العباسيين مكتوباً في قطع الشامي الكامل قال :

« وكأنهم لما تنفرت الخلافة وضعف شأنها وصار الامر الى الملوك المتغلبين على الخلفاء تنازلوا في كتابة عهودهم من قطع الكامل البغدادي الى قطع الشامي » (٣ .

واشار الى قطع الشامي الكامل فقال :« عرض درجه عرض الطومار الشامي في طوله وهو قليلي الاستعمال بالديوان الا انه ربما كتب فيه بعض المكاتبات كما كتب فيه عن الاشرف شعبان بن حسين لوالدته حين سافرت الى الحجاز الشريف»(٤) .

---

١) خزانة باريس رقم ٤٦٣٩ ص ١٧٧

٢) صبح الاعشى ٨ : ٥٤

٣) « « ٩ : ٣٩٤

٤) « « ٦ : ١٩٢-١٩٣

وذكر ايضا القطع الصغير وانه « في عرض ثلاثة اصابع مطبوقة من الورق المعروف بورق الطير وهو صنف من الورق الشامي رقيق للغاية وفيه تكتب ملطفات الكتب وبطائق الحمام»[1] . اي حمام الزاجل او الحمام الهادي .

ولا بد لمعرفة مقادير الورق الحموي والشامي واقيستها بالضبط من تفقد ما يوجد اليوم من المخطوطات القديمة باقلام مؤلفيها وقد اعتاد بعض المؤرخين اذا ذكروها ان ينبهوا على قطع الورق المكتوبة فيه كقول ابن قاضي شهبة الاسدي في كلامه على تاريخ صلاح الدين بن شاكر الكتبي المعروف بعيون التواريخ : « هي بخطه في اربعة وعشرين مجلداً في نصف قطع الحموي»[2] وكقول فضل الله الصفاعي ان ابن الحواري جمع في اوصاف دمشق ومحاسنها والماجريات فيها قدر خمس مئة كراس بقطع الدمشقي «الكامل »[3] وفي الخزانة التيمورية بالقاهرة بعض مجلدات بخط ابن شاكر يسهل قياسها وتحقيق مقادير الورق الحموي فيها . وفي مخطوطات دار الكتب الظاهرية بدمشق ما هو عريق في القدم خطاً منذ منتصف المئة الثالثة للهجرة فتراجع وينظر فيها ليسهل علينا تعيين قطع الورق الشامي او غيره منها . ولا يجهل احد شأن هذا الدرس وفائدته الجلى في تاريخ الوراقة .

ونذر جداً ان يشار الى اسعار الورق قديماً في جملة ما كان يطرأ على الاسواق من رخص وغلاء وغاية ما وقفنا عليه قول البدر العيني : في اواخر المحرم (سنة ٨٠٦=١٤٠٣) تحسنت الاسعار جداً . . . ووصل الدشت من الورق الشامي وهو خمس وعشرون فرخة الى ستة عشر درهماً والدشت الحموي الى عشرين درهماً »[4] . وذكر اسعار سنة (٨٢٣/١٤٢٠) فقال : « تحسنت اسعار الكتب جداً ورخص الورق الشامي بعض الرخص فبيع الكف منه بثلاثين درهماً فلوساً والكفة منه خمس وعشرون فرخة »[5] .

---

١) صبح الاعشى ٦ : ١٩٢-١٩٣

٢) كتاب الذيل ١٥٩٨ باريس ١٧١

٣) تالي كتاب الاعيان ٢٠٦١ باريس ٧٦

٤) عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان ٥٣ ١٥ باريس ٦٥

٥) عقد الجمان ١٦٥

وكان بدمشق وراقات اتخذت في جوار الانهار او العيون لحاجة الصناعة كان منها واحدة في خارج باب السلامة عند عين كشتكين وتقع هذه العين في زقاق يسمى اليوم زقاق العين على يمين الخارج من باب السلامة»[1] . وكان قريبا منها مسجد يدعى مسجد الوراقة وهو الرابع والاربعون من مساجد كتاب ثمار المقاصد لابن عبد الهادي . ومنها ثانية في محلة عُيَيْنة الحمى «عند دار البطيخ في مكان المدرسة الشامية البرانية»[2] . وهنالك عين تسمى عين علي[3] . ورد ذكر هاتين الوراقتين في الكتابة التي لا تزال تقرأ فوق عتبة مدرسة نور الدين الشهير التي يقال لها النورية الكبرى في السوق المعروفة اليوم بسوق الخياطين وكانت تدعى قديما سوق الخواصين[4] اي بائعي الخوص وهو ورق النخل .

ومنها وراقة ثالثة تحت المدرسة العزية اشار اليها صلاح الدين الصفدي في ذكره وفاة عبد الوهاب بن فضل الله العمري سنة ٧١٩ (١٣١٩ م) قال : ودفن بتربة له جوار المدرسة العزية التي عند الوراقة ظاهر دمشق»[5] وفي غربي هذه الوراقة الزاوية اليونسية بالشرف الاعلى كما جاء في المنهل الصافي لابن تغري بردي[6] . وعندها عين تسمى عين الوراقة كما في مخطط الصالحية للاستاذ دهان واياها دون ريب اراد ابن الراعي بقوله :

وكم جمعنا الشمل في الوراقة عين تراها بالصفا براقة[7]

ويظهر انه كان بدمشق وراقة رابعة ذكرها ابن عساكر في كلامه على وفاة علي بن محمد بن علي بن داود ابي الرضى الانطاكي قال : توفي ودفن في الوراقة التي خارج باب الفراديس عقيب صلاة الجمعة الثامن من رجب سنة احدى وتسعين واربعمائة (١٠٩٨ م) .

١) الوراقات بدمشق للاستاذ صلاح الدين المنجد (المشرق المجلد ٦٢ (١٩٦٨) الجزء ٣ : ٣٦٠

٢) البداية والنهاية لابن كثير ١٣ : ٢٢٦

٣) البداية والنهاية ٩ : ٣٥١

٤) اعيان العصر دار الكتب المصرية رقم ١٠٩١ ج ٦ : ٢٢٣

٥) المنهل الصافي الجامعة العربية ٦ : ٢٠٢

٦) البرق المتألق في محاسن جلق ٧٦٦٠ دار الكتب المصرية .

ولم نعثر في كل مطالعاتنا على اقل اشارة الى عمل الورق في حماة او بحي الوراقات فيها لقلة احتفال المؤرخين باخبار الصناعات والفنون والتجارة وهو الشقاء الذي كتب على تاريخ الحضارة العربية في الشرق .

وجلّ ما انتهى الينا من آثار اصطناع الكاغد في حلب اشارة الى وراقة قديمة فيها خصت بالذكر في احد المراسيم السلطانية في دولة المماليك ولا يزال حيّ من احياء حلب يعرف اليوم باسم الوراقة[1] .

وقد تنوسيت اخبار منبج ودرست آثار صناعة الورق فيها ولكن بقي صداها في الغرب شاهداً بتقدّمها . وكان يجلب الكاغد منها في جملة مجالب اوربة من الشام في العصور المتوسطة ويسمى عندهم Charta Bombycèna لان منبج كانت تعرف عندهم باسم Bombyce او Bombyx وهو ترجمة الاسم العربي اي الورق المَنْبَجاني .

وفي سنة ٤٢٧/١٠٣٥ مرّ بطرابلس ناصر خسرو المروزي ووصفها في رحلته «سفرنامه» فقال : « يصنعون فيها الورق الجيد مثل الورق السمرقندي بل احسن منه »[2] . وهذه الشهادة تدل على نهاية جودة الورق الطرابلسي وهي تخالف القول الشائع ان ورق السمرقند منقطع القرين .

واما طبرية فاوحد من نبّه على عمل الكاغد فيها حين مرّ بها هو البشاري المقدسي وعدّه في جملة ما كان يرتفع منها في ايامه[3] ولا عجب من تخصصها بهذه الصناعة وفيها البحيرة المشهورة .

وفي التقاليد العربية ان عسقلان كانت ايضاً من المدن الشرقية التي كانت تشتمل على الوراقات في عهد الصليبيين ولا يزال بعض المؤلفين يذهبون في حكاية منشإ الورق في فرنسة الى ان بعض اسرى الصليبيين من جند الملك لويس التاسع تلقنوا اسراره في معامل دمشق وعسقلان ولما تخلصوا من الاسر وعادوا الى بلادهم في اوفرنيه (Auvergne) كانوا اول من احدث هذه الصناعة

(١ J. Sauvaget : *Décrets Mamlouks*, in Bulletin des Études Orientales 1933, p. 23.

(٢ Charles Schefer : *Relation du voyage de Nasiri Khausrau*. Paris 1881, p. 41 — ١٣ تعريب الخشاب

(٣ احسن التقاسيم ١٨٠.

فيها ودعوا بعض القرى حولهم باسمها. تذكرهم بدمشق وعسقلان La Dame et Escalon ولكن المحققين اليوم من مؤرخي الورق ينكرون هذا الرأي ويرجحون انتقال الوراقة اليهم من الاندلس في جملة ما صار اليه من الصناعات والفنون الدمشقية على يد من رحل اليه من الشاميين بعد سقوط الخلافة المروانية .

٢١ ــ الورق المصري

قال القلقشندي في كلامه على الورق المستعمل في الدواوين الشريفة :

« ودون البغدادي والشامي في المرتبة الورق المصري وهو ايضاً على قطعين : القطع المنصوري وقطع العادة . والمنصوري اكبر قطعاً وقلما يصقل وجهاه جيداً . واما العادة فان فيه ما يصقل وجهاه ويسمى في عرف الوراقين « المصلوح » وغيره عندهم على رتبتين عال ووسط » (١) .

وفي مخطوط المصطلح الشريف في خزانة باريس شرح اتم واوفى قيل فيه :

« الورق المصري على نوعين . النوع الاول : الورق المنصوري وهو اوفى الاوراق قطعاً واعظمها حجماً ومنه تفصل دروج الولايات والمكاتبات الكبار بديوان الانشاء وتسمى الورقة الواحدة منه فرخة والدست خمس وعشرون ورقة والرزمة خمسة دسوت وكان في القديم تسمى الفرخة طومارا وتجمع على طوامير واشتقاقه من طمرت الشيء اذا اخفيته والدرج في الغالب يطوى ليخفى ما فيه(٢ ومقدار قطعه على ضربين الضرب الاول ما كان يستعمل في زمان الخلفاء وهو على خمسة مقادير قال محمد بن عمر المدائني في كتاب القلم انه كان يكتب للخلفاء في قرطاس من ثلثي طومار والى الامراء من نصف طومار والى العمال والكتاب من ثلث طومار والى التجار واشباههم من ربع طومار والى الحساب والمساح من سدس طومار ومنها استخرجت المقادير المستعملة الآن .

والضرب الثاني : مقادير قطع الورق المستعمل الآن بديوان الانشاء وهو على تسعة مقادير .

الاول الطومار الكامل وعرض درجه ذراع ونصف بذراع القماش .

الثاني عرض ورق البغدادي وعرض درجه ذراع .

الثالث قطع البغدادي الناقص وعرض درجه دون البغدادي الكامل باربعة اصابع مطبوقة . . .

الرابع قطع الثلثين والمراد به ثلثي الطومار للمنصوري الكامل وعرض درجه ثلثي ذراع بذراع القماش . . .

---

١) صبح الاعشى ٣ : ٤٧٦ ــ ٤٧٧ .

٢) سبق القول ان الطومار لفظة رومية .

الخامس : قطع النصف من الطومار الكامل المنصوري وعرض درجه نصف ذراع بذراع الفاش .

السادس : قطع الثلث من الطومار المنصوري الكامل وعرض درجه ثلث ذراع . .

السابع : قطع المادة وعرض درجه ربع ذراع وقبراط بذراع الفاش وفيه تكتب التواقيع والمراسيم الصغار ومناشير جند الخلفة ومقدميها ومناشير الامراء الصغار من المماليك الشامية وعشرات التركمان وبعض المساميح والامانات والطرخانيات واوراق الحلف والطريق وبعض الملطفات وجميع الاسئلة خلا ما يكتب لبعض الملوك وهو أكثر ما يستعمل في الديوان .

الثامن : قطع ورق الملطفات وغالباً يكون من ورق الطير

التاسع : قطع ورق البطائق وعرضه ثلثة اصابع مطبوقة (١ . . .

وقد اخل الكتابان بوصف ورق الطير على كثرة استعماله في رسائل حمام الزاجل وربما ذهب الوهم الى ان الورق المنصوري المشار اليه هو منسوب الى مدينة المنصورة . وانما يراد به ما كان مثال قطع الورق السمرقندي المنسوب الى منصور بن بجير الكاغدي الذي تقدم ذكره في الكلام على سمرقند . وما يؤيد ذلك ان ابن سعيد متمم كتاب المُغرب لما وصف مصر وصفاً حافلاً بالفوائد والملح وكان وصوله للاسكندرية سنة ٦٣٩/١٢٤١ قال ان المطابخ التي يصنع فيها الورق المنصوري مخصوصة بالفسطاط دون القاهرة[٢] . فلم يكن شيء منها في المنصورة بمصر .

وقد فاتنا معرفة المواضع والجهات التي كان يصنع فيها الورق المصري في ما عدا الفسطاط وفوّة ودقبلة . وفي زمان المقريزي كانت الوراقات بالقرب من باب القنطرة ظاهر القاهرة في الموضع المعروف بخطة لخم واولها شرقي الكنيسة المعروفة بميكائيل عند خليج بني وائل[٣] ولا شك ان هذه الوراقات وغيرها مما لم يبلغنا ذكرها كانت ذات شأن واتساع حتى طمحت عين الوزير كريم الدين الى الاستئثار بارباح ما يدخل فيها من المواد والمؤن « فاحتكر الاصناف قليلها وكثيرها حتى حبال القنب للوراقات وقصب القصاب وقش الحصير »[٤] !

١) خزانة باريس رقم ٣٦٣٩ ص ١٧٧–١٧٨

٢) نفح الطيب للمقري ١ : ٩٢ ؛ والخطط للمقريزي مطبعة النيل ٢ : ١٨٩

٣) الخطط ٤ : ٧٧

٤) نهاية الارب للنويري خزانة ليون Arab, 19b Gail. fo 24

وكان في القاهرة « حارة الوراقين » بسوق المرجلين . « وخط خان الوراقة ما بين حارة بها. الدين وسويقة امير الجيوش »[1] .

ومن وزراء مصر وشعرائها المشهورين الذين تقارضوا الشعر لافلاسهم من الورق جمال الدين بن مطروح. قال ابن خلكان: « اخبرني بها. الدين بن زهير ان جمال الدين بن مطروح كتب اليه في بعض الايام يطلب منه درج ورق وكان قد ضاق به الوقت واظنها كانا ببلاد المشرق جميعاً :

افلستُ يا سيدي من الورَق فَجُدْ بدرج كعرضك البَلَق
وان اتى بالمداد مفترناً فرحباً بالمدود والحدق

قال بها. الدين زهير : وقد فتح الراء من الورَق وكسرها تبينها الى حاله فكتب اليه :

مولاي سيّرتُ ما رسمتَ به وهو يسير المداد والورق
وعزّ عندي سير ذاك وقد شبّهته بالمدود والحدق [2]

وقوله : فتح الراء من الورق وكسرها اشارة الى المعنيين اي بالفتح الى الكاغد وبالكسر الى الدراهم المضروبة .

وكان بمصر محلة مشهورة فيها سوق الكتب والدفاتر والطرائف كالآبنوس والزجاج وغير ذلك تسمى زقاق القناديل[3] .

٢٢ ــ الورق التهامي

لم نجد ذكراً له في كتاب الفهرست وحده ولا ندري هل لفظة «التهامي» الواردة في الاصل هي صحيحة ام انها تحريف لفظة الشامي ولا يخفى كثرة ما اعتور نسخة الفهرست في طبعتيه الاوربية والمصرية من الاغلاط والتصحيفات التي شانت عبارات ابن النديم وحالت احياناً دون فهم مغزاها ومدلولها. وهذا نص الفصل الذي جاء فيه ذكر الورق التهامي ننقله برمته لما تضمنه من الفوائد النادرة ووصف بعض الكنوز العلمية وتعداد نفائس الآثار القديمة التي لم يخل

١) الخطط ٣ : ٢ و ٢٧
٢) وفيات الاعيان طبعة باريس ٣٨٥
٣) معجم البلدان ٢ : ٩٣٧

الشرق العربي من شاق وجماعين لها على معرفة باعلاقها وبصيرة بغيثها واقدارها .
قال محمد بن اسحق :

«كان بمدينة الحديثة رجل يقال له محمد بن الحسين ويعرف بابن ابي بمرة جماعة للكتب لم ارَ لاحد مثلها كثرة تحتوي على قطعة من الكتب العربية في النحو واللغة والادب والكتب القديمة فلقيت هذا الرجل دفعات وأنس بي وكان فخوراً ضنيناً باعنده خائفاً من بني حمدان فاخرج لي قمطرا كبيرا فيه نحو ثلاثة رطل حلود وفلجان وصكاك وقرطاس مصر وورق صيني وورق شامي وجاود أدم وورق خراساني فيها تعليقات عن العرب وقصائد مفردات من اشعارهم وشيء من النحو والحكايات والاخبار والاسمار والانساب وغير ذلك من علوم العرب وذكر ان وجدا من اهل الكوفة ذهب عني اسمه كان مستهترا بجمع الخطوط القديمة وانه لما حضرته الوفاة خصّه بذلك لصداقة كانت بينها وافضال من محمد بن الحسين عليه ومجانسة المذهب فانه كان شيعيا فرأيتها وقلبتها فرايت عجباً الا ان الزمان كان قد اخلقها وعمل فيها عملا ادرسها واحرقها وكان على كل جزء او ورقة او مدرج توقيع بخطوط العلماء واحداً اثر واحد يذكر فيه خط من هو . وتحت كل توقيع توقيع آخر وخمسة او ستة من شهادات العلماء على خطوط بعض لبعض . ورأيت في جملتها مصحفاً بخط خالد بن ابي الهياج صاحب علي رضي الله عنه . ثم وصل هذا المصحف الى ابي عبدالله بن حاني رحمه الله . ورأيت منها بخطوط الامامين الحسن والحسين . ورأيت عنه امانات وعهوداً بخط امير المؤمنين علي عليه السلام وبخط غيره من كتّاب النبي صلى الله عليه وسلم . ومن خطوط العلماء في النحو واللغة مثل ابي عمرو بن العلاء وابي عمر الشيباني والاصمعي وابن الاعرابي وسيبويه والفراء والكسائي . ومن خطوط اصحاب الحديث مثل سفيان بن عيينة وسفيان الثوري والاوزاعي وغيرهم . ورأيت ما يدل على ان النحو عن ابي الاسود ما هذه حكايته وهي اربعة اوراق احسبها من ورق الصين ترجمتها هذه : فيها كلام في الفاعل والمفعول عن ابي الاسود رحمة الله عليه بخط يحيى بن يعمر . وتحت هذا الخط بخط عتيق : هذا خط فلان النحوي . وتحته : هذا خط النضر بن شميل . ثم لما مات هذا الرجل فقدنا القمطر وما كان فيه فما سمعنا له خبراً ولا رأيت منه غير المصحف هذا على كثرة بحثي عنه » (١) .

وقد اطلنا التنقيب والفحص لعلنا نظفر باشارة اخرى الى الورق التهامي او نصّ على عمله فذهبت اتعابنا سدى ولم نهتدِ الى ضالتنا . ومع ذلك لا نظن اننا نخطئ كثيراً اذ قدّرنا امكان نسبة الورق الى تهامة على ما يظهر في بادئ الرأي من تعذرها وبعدها اذ لا يجب ان ننسى ان تهامة كانت تعد من اليمن وان اليمن كان في الجاهلية والاسلام وطناً من اهم اوطان الفنون والصناعات اشتهر بجلله ووشيه وطرائفه وقدم حضارته فلا ينتفي ان تكون

(١) الفهرست ٦٠-٦١

صنعا. مثلاً من مدنه قد تنبهت لاصطناع الكاغد لما رأته من شدة الحاجة اليه في العلم والدين والتجارة وقد وصف الهمداني مدن اليمن التهامية والنجدية ودعا صنعا. ام اليمن وقطبها وقال: «لم يزل بها عالم وفقيه وحكيم وزاهد.. ولهم خط المصاحف الصنعاني المكسر والتحسين الذي لا يلحق به ولهم حقائق الشكل ذكرهم بذلك الخليل ومنهم الخطبا. والعلما. واصحاب النجوم والشعرا.»[1] فمن الغريب ان لا يكونوا سبقوا في كفاية مؤونتهم من الورق على ولعهم بالخطوط والمصاحف والآداب ولما مرّ البشاري المقدسي بعدن قال: «وباليمن يلزقون الدروج ويبطنون الدفاتر بالنشا وبعث اليّ امير عدن مصحفاً اجلده فسألت عن الاشراس بالعطارين فلم يعرفوه ودلوني على المحتسب وقالوا عساه يعرفه فلما سألته قال من اين انت قلت من فلسطين قال انت من بلد الرخا. لو كان لهم اشراس لأكلوه . عليك بالنشا . ويعجبهم التجليد الحسن ويبذلون فيه الاجرة الوافرة وربما كنت أعطى على المصحف دينارين»[2].

ولا يخفى ما في هذا الوصف وذكر إلصاق الدروج والاوراق والتجليد من تلميح الى عمل الكاغد ولا عرو اذا اهمل المؤرخون عدّ اليمن وتهامته في جملة البلاد التي تصطنعه وتتّجر به وقد اغفلت وتناست كثيراً منها واقتصرت على تسمية ما اشتهر بينها فقط دون استيفاء لها .

٢٣ ــ الورق المغربي

لم نقف من اخبار الورق في افريقية والمغرب الا على لمع يسيرة في كلامهم على مدينة فاس وكثرة المياه والارحاء فيها وقد زارها ابن حوقل فقال: «نهرها عظيم الماء عليه ارحية كثيرة»[3] واخاف البكري ان على باب دار الرجل رحاه وبستانه بانواع الثمر وجداول الماء تحرق داره والمدينتين (عدوة القرويين وعدوة الاندلسيين) ازيد من ثلاث مئة رحاً وفيها نحو عشرين حماماً وهي اكثر بلاد المغرب يهوداً يختلفون منها الى جميع الآفاق»[4] . ومع ان ياقوت نقل هذا

١) كتاب صفة جزيرة العرب . ليدن ٥٥-٥٦

٢) احسن التقاسيم ١٠٠

٣) المسالك والممالك ٦٥

٤) المُغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب طبعة الجزائر ١١٥

الكلام بالحرف اتبعه بزيادة لم يذكر عمن نقلها قال فيها : « ان النهر اذا انتهى الى المدينة طلب قرارتها فيفترق منه ثمانية انهار تشق المدينة عليها نحو ست مئة رحاً في داخل المدينة كلها دائرة لا تبطل ليلاً ولا نهاراً تدخل من تلك الانهار في كل دار ساقية ماء. »[1] . ولعل الاصح ما حكاه ابو محمد صالح بن عبد الحليم مؤلف كتاب روض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس حيث قال: « أحصيت الارحاء التي دار عليها سور المدينة فوجدت اربع مئة حجراً واثنان وسبعون حجراً. وروى قول ابي الفضل النحوي في مدح المدينة:

يا فاس منك جميع الحسن مُشرَق والساكنوك أهنيهم لقد رُزقوا
ارض تخللها الانهار داخلها حتى المجالس والاسواق والطرق [2]

ولا ريب ان غزارة المياه فيها مع ما اجتمع اليها لا محالة من مزروعات القنب والحلفا. هي كانت الباعث على عمل الورق وتعدُّد ارحائه وقد اشار اليها ابن عبد الحليم فقال : « كان بها اربع مئة حجر لعمل الكاغد وخرب ذلك كله في ايام المجاعة والفتنة التي كانت في ايام العادل واخيه المأمون وابنه الرشيد وذلك من سنة ثمانية عشر الى سنة سبع وثلاثين وستمائة (١٢٢١—١٢٣٩ م) وكانت مدة توالي الخراب عليها عشرين سنة الى ان ظهرت الدولة المرينية فانجبرت البلاد وتأمنت الطرق . قال المؤلف : نقلت ذلك كله من تقييد الشيخ الفقيه المُشرِف ابي الحسن علي بن عمر الاوسي نقله من زمام بخط المشرف القديم مشرف المدينة في ايام الناصر الموحدي »[3] .

وفي تسمية تاريخ فاس لابن عبد الحليم بروض القرطاس ايماء ظاهر الى عمل القرطاس اي الكاغد في المدينة . ويظهر ان جنسه كان دون ورق المشرق لقولْ القلقشندي بعد وصف ورق العراق والشام ومصر : ودون ذلك ورق اهل المغرب والفرنجة فهو ردي جداً سريع البلى قليل المكث ولذلك يكبرون المصاحف غالبا في الرق على العادة الاولى لطول البقاء. »[4] .

١) معجم البلدان ٣ : ٨٤٣
٢) روض القرطاس ١٨٦٩ باريس ١٢ و ٢٠
٣) روض القرطاس ٢١
٤) صبح الاعشى ٣ : ٤٧٧

ولا يبعد ان يكون اليهود هم الذين احدثوا صناعة الكاغد في فاس كما فعلوا قبلاً في مدينة شاطبة في الاندلس . ومما يدل على وفرة عديدهم في فاس قول روض القرطاس في ذكر زيارة جامع القرويين: «وابتدأ القاضي الفقيه ابو عبدالله محمد بن دارد بشراء الاملاك والديار التي قبلة الجامع وغربيها وشرقيها فاشترى منها ما احب واحتاج اليها باحسن شراء دون غبن على احد من ذلك وكان اكثرها ديارا لليهود لعنهم الله»[1] .

ومن الاخبار التي تنم على وجود الورق في فاس ما ذكره ابن عبد الحليم ايضاً قال: «لما دخل الموحدون المدينة وذلك يوم الخميس الخامس عشر لربيع الآخر سنة اربعين وخمسمائة (٥ اكتوبر تشرين الاول ١١٤٥) خاف فقهاء المدينة واشياخها ان يستنقض عليهم الموحدون ذلك النقش والزخرف الذي فوق المحراب لأنهم قاموا بالتقشف وبالناموس فقيل لهم ان امير المؤمنين عبد المؤمن ابن علي يدخل غدا المدينة مع اشياخ الموحدين برسم صلاة الجمعة بالقرويين فخافوا لذلك فباتوا بالجامع تلك الليلة فغطوا على ذلك النقش والتذهيب الذي فوق المحراب وحوله بالكاغد ثم لبّسوا عليه بالجص وغسل عليه بالبياض وذلك فسقطت كل النقوش كلها وصارت بياضاً»[2] .

ولما ذكر ليون الافريقي مدينة فاس وعدد اسواقها بعد تنصره وكان اسمه قبلاً الحسن بن محمد الوزان الفاسي قال: وغرباً نحو من ثلاثين حانوتاً للوراقين»[3] . ومن الغريب ان البشاري المقدسي لم يزد على قوله فيها: واما فاس فان اهلها ولواتهم عاوق[4] . ولم يشر بحرف الى وراقتها .

وفي بعض الاقوال ان الوراقة كانت معروفة في مدينة سبتة[5] . وروى آخرون انها كانت في مراكش ايضاً وتونس ولا ندري في اي من مدن المغرب

---

١) روض القرطاس ٢٧

٢) روض القرطاس ٢٩

٣) Léon L'Africain : *Description de l'Afrique*. édit. Ch. Schefler. Paris, 1896. p. 89.

٤) احسن التقاسيم ٢١٩

٥) C.M. Briquet : *Recherches sur les premiers papiers employés en Occident et en Orient du X^e au XII^e siècle*. Paris, 1886. p. 37.

كان يصنع الورق الذي شكا القلقشندي من رداءته وقلة متانته ولا يجب ان يُقضى من قوله على كل كواعد المغرب فقد كان بينها ما هو غاية في الجودة غريب في صنعته . حكى المقرّي « ان بعض المغاربة كتب الى الملك الكامل ابن العادل ابن ايوب رقعة في ورقة بيضاء ان قرئت في ضوء السراج كانت فضية وان قرئت في الشمس كانت ذهبية وان قرئت في الظل كانت حبراً اسود »[1] وهو ما يدل على ذكاء عملها وتميز صاحبها بعلم الوراقة .

ومن المغاربة الذين مهروا في عمل الورق وبلغوا غاية الإعجاز في الكتابة عليه بخط دقيق عبدالله بن محمد بن ابي عبدالله الحمال المغربي السوسي ثم المصري« كان اعجوبة الدهر في صناعة الاشياء الدقيقة حتى كان يصنع بيده ورقاً يكتب فيه بخطه الدقيق سورة الاخلاص وآية الكرسي وقصيدة مديح من نظمه ويجعلها في فلقة كريرة يابسة ويغطيها بالاخرى »[2] . وهو ما يأبى العقل اليوم تصديقه لكونه من الخوارق التي يستحيل امكانها في اعتقادنا .

٢٤ ـ الورق الاندلسي

كانت شهرة الوراقة والوراقين في الاندلس بالغة اقصى آماد السمعة والذيوع في زمان الرحالة البشاري المقدسي اي سنة ٣٧٥ — ٩٨٥ ردّد صداها في كتابه فقال: اهل الاندلس احذق الناس في الوراقة[3] « واربى عليه الشريف الادريسي فذكر « ان مدينة شاطبة (Yativa) يعمل بها من الكاغد ما لا يوجد له نظير بعمور الارض ويعمّ الشرق والغرب »[4] . ونقل مثل ذلك ياقوت في كلامه على شاطبة[5] وجاء بعدهم المقرّي فقال :« من اعمال بلنسية شاطبة التي يضرب عنها المثل ويعمل بها الورق الذي لا نظير له[6] » . ولا تزال هذه الشهرة متداولة الى اليوم في المغرب حيث يدعى ورق بعض المخطوطات القديمة « شاطبيا » ويمتاز بمتانته وحسن صقاله .

---

١) نفح الطيب ٣ : ٥١

٢) الضوء اللامع لاهل القرن التاسع لشمس الدين السخاوي ٥ : ٥٧

٣) احسن التقاسيم ٢٣٩

٤) *Description de l'Afrique et de l'Espagne*, édit. Dozy et de Goy, p. 192

٥) معجم البلدان ٣ : ٢٥٣

ويتحصل من شهادات بعض الروايات المتقدمة ان اليهود هم اول من ادخل هذه الصناعة شاطبة . قالوا ان الصانع لها كان سنة ١٠٧٩ ويدعى Aben Massifa ابن مسيفة اذا صحت هذه القراءة. وفي خزانة دير سانتو دوميبكو دي سيلوس[1] مخطوطان في الصلوات على ورق شاطبي من بواكير الصناعة . وفي مفتتح القرن الثاني عشر زار اسبانية احد الرهبان الفرنسيين[2] وعاين فيها بعض المخطوطات على الورق اليهودي . وفي سجلات مدينة برسلونة ذكر للرسوم التي كانت تؤخذ من اليهود بتاريخ ٨ شباط فبراير سنة ١٢٧٣ على مصنوعاتهم في شاطبة[3].

ومن المذهل الغريب انه لم يقم الى الآن في اسبانية من اراد جمع اخبار هذه الصناعة القديمة على ما كان لها من جلالة الشأن والانتشار في المملكتين المحمدية الاندلسية والمسيحية الاسبانية . وقد امتاز العرب خصوصاً بين شاميين ومغاربة بالحرص على اقتناء الكتب والدواوين وحشد الآلاف منها في الخزائن السلطانية والخاصة وتكاثر من اجل ذلك عدد الوراقين بين باعة ونساخ حتى بلغ مبلغاً لا يدركه الا من تتلى التاريخ الاندلسي علماً . وكفى بشهرة الحكم المرواني عبد الرحمن المستنصر بالله دليلاً على افتتان القوم بالمطالعة والحفظ والاقبال على العلوم الدينية والادبية التي تقوم عليها اسواق الوراقة . وقد نبه من اخبار زمان الحكم ان خزائنه كانت ملأى بالاعلاق والنفائس الخطية حتى غصت بها بيوته وضاقت عنها خزائنه . . . وكان اخوه عبدالله على مثل هذه الحال . . . ولم يجتمع في الاسلام لخليفة بلغ مبلغ الحكم في اقتناء الكتب والدواوين وايثارها . . . وكان له وراقون باقطار البلاد يتتبعون له غرائب التآليف ورجال يوجههم الى الآفاق فيها[4] . . .

ولا حاجة الى القول ان مثل هذا الولع والاستبتار في تحصيل العلم وجمع آثاره كان يقتضي طبعاً تعدد مصانع الورق لشدة الافتقار اليه واتصال الرغبة فيه . ومن اجل ذلك تكلفنا عناء السفر الى اسبانية فزرنا مدريد والاسكريال وقرطبة

(١) Santo Domingo de Silos près de Burgos.

(٢) Pierre le Vénérable, abbé de Cluny(1092-1156).

(٣) André Blum : *Les origines du papier*, p. 45.

(٤) الحلة السيراء لابن الابار . طبعة ليدن ١٠١-١٠٣

واشبيلية وغرناطة لعلنا نجد بين التركات العلمية فيها ما يصف لنا ازمنة من ارهى عصور العلم والادب في الغرب ولكن ساء فألنا وخاب رجاؤنا وعدنا بآلة الاسف والتحسر صفر اليدين لضياع كل ما كتبته الاقلام العربية عن تلك العصور الزاهرة .

وغاية ما وقفنا عليه من اوصاف الورق انه كان يصنع منه نوع احمر خاص بالكتابات والصكوك الديوانية وتوقع في اعلاه العلامة السلطانية . وقد شبّه لسان الدين الخطيب هذه العلامة السودا. في الصحيفة بالخال في الوجنة الحمرا. فقال :

كأن سواد الخال في وجناته علامة مولانا على احمر الطرس(١

وكتب ابن هزيل الغزاري للغني بالله سلطان لسان الدين بن الخطيب :

ليس لي يا مولاي من جابر اذا غدا قلبي من البلوى جذاذا
غير صك احمر تكتب لي فيه يُمناك اعتناء « صح هذا » (٢

وقد اطلنا البحث والفحص كثيرًا فلم نجد في ما عدا شاطبة ذكر مدينة اخرى اشتهرت نظيرها في اصطناع الورق ولكن لا يجب ان نستنتج من ضياع مثل هذه الشهادات او سكوتها ان الكاغد مع شدة الطلب له لم يعمل في غير بلد من البلاد التي اجتمع فيها وجود المياه وتوفر المؤن التي قامت عليها هذه الصناعة كالقنب والحبال والخرق البوالي ومشاقة الكتان وفتات الاقطان والخلفا. وقشور الارز . وقد مرّ بنا في كتاب الحسبة لابن عبدون التجيبي في جملة وصايا المحتسب في اشبيلية انه «يجب ان يُزاد في قالب الكاغد وفي دلكه ايضاً»(٣ . وهو دليل صريح على انه كان في هذه المدينة صناع للورق حتى احتاجوا الى هذه الترصية . ويؤخذ ايضاً من بعض الاقوال ان صناعة الكاغد عرفت ايضاً في بلنسية وطليطلة(٤ . وأشير اليها كذلك في بعض سجلات مملكة أراكون حيث رُسم مرة ان تجمع الخرق المتبرئة لعمل الورق في جزيرة منورقة(٥ ولعل المستقبل يبدي لنا ما نجهله اليوم.

١) نفح الطيب ٤ : ١٨٦
٢) نفح الطيب ٢ : ٣٥٤
٣) Journal Asiatique. Mars-Juin 1934, p. 238.
٤) C. M. Briquet : *Recherches sur les premiers papiers employés en Occident et en Orient du X^e au XIV^e siècle*. Paris. 1886, p. 37.
٥) C. Parpal y Marques: *Hubo fabricas de papel en Menorca en tiempo de los Arabes?* in (Bibliothèque Nationale). Revista de Historia Española... 1900, p. 294.

٢٥ ــ ورق الطير والبطائق

سبق وصفه في الكلام على الورق الشامي . ويراد بالطير حمام الزاجل او حمام الهدي وكان الورق يُلف ويعلق باجنحتها وتُكتب فيه الملطفات السلطانية والبطائق وربما كتبت فيه المصاحف الصغيرة التي تحمل في الجيوب او تختار لتلاوة الليل لسهولة محلها وممن كتب مصحفاً منها جواد بن سليمان بن غالب ابن معن ينتهي نسبه فيما قيل الى النعمان بن المنذر . ولد سنة ١٣٠٥/٧٠٥ «وكان من اتقن الناس للصنائع كتب مصحفاً مضبوطاً مشكولاً يقرأ فيه بالليل وزن ورقه سبعة دراهم وربع وجلده خمسة دراهم»[1] .

وكان وزن الدرج من ورق الطير او الفرخة درهماً ونصف درهم وعرضه ثلاث اصابع مطبقة فهو غاية ما يكون من رقة الحاشية[2] .

ومن اجل هذه الرقة الشديدة كان الورق شفافاً جداً يشفّ عما تحته . روى الصفدي ان عماد الدين بن الشيرازي الكاتب المتوفي سنة ١٢٨٣/٦٨٢ «بلغه ان ربعة في بغداد بخط ابن البواب كتبها بخفّ المحقّق فاستعمل من ورق الطير جملة واخذه معه وتوجه الى بغداد واخذ تلك الربعة جزءا فجزءا وكان يضع ورق الطير على خط ابن البواب فيشفّ عما تحته ويُجلي الكتابة له فيكتب عليها لا يخلّ بذرّة منها. قال الصفدي :« وقد رأيت انا من هذه الربعة التي كتبها عماد الدين جزءا وما في الورقة مكتوب الا وجهة واحدة فكنت اتعجب لذلك . فلما سمعت هذه الواقعة علمت السبب في ذلك»[3] .

٢٦ ــ ورق الصرّ او المزاود

سماه عبد اللطيف البغدادي «ورق العطارين» وكان يعرف ايضاً في مصر بالورق «الفوّي» نسبته الى فوّة بليدة من نواحي مصر قرب رشيد واليه اشار المقريزي بقوله : ما يستعمله العطارون من القراطيس والورق الفوي والخوط . . .

١) المنهل الصافي لابن تغري بردي نسخة باريس ٣ : ١٣

٢) صبح الاعشى ٦ : ١٩١—١٩٢

٣) الوافي بالوفيات للصفدي طبعة استانبول ١ : ٢٠٢

التي تلقى على المزابل»[1] ووصفه القلقشندي في كلامه على الورق المصري فقال: وفيه صنف يعرف بالقوي صغير القطع خشن غليظ خفيف الغرف لا ينتفع به في الكتابة يتخذ للحاوي والعطار ونحو ذلك»[2]. وكان الوراقون يتخذون له من المواد ما كان رخيصا او ساقطا في الرتبة كالاكفان القديمة التي ذكرها عبد اللطيف البغدادي في وصف اصحاب المطالب ونبشة القراديس قال:

«ومما يقوي اطماعهم ويديم اصرارهم انهم يجدون نواويس تحت الارض فسيحة الارجاء محكمة البناء وفيها من موتى القدماء الجم الغفير والعدد الكثير قد لُفّوا باكفان من ثياب القطن لعله يكون على الميت منها زهاء الف ذراع وقد كُفّن كل عضو على انفراده كاليد والرجل والاصبع في قِمَط رقاق ثم بعد ذلك لُفّت جثة الميت جملة حتى يصير كالجمل العظيم ومن كان يتتبع هذه النواويس من الاعراب واهل الريف وغيرهم يأخذ هذه الاكفان مما وجد فيه فمنهم من اتخذه ثيابا او باعه للوراقين يعمل منه ورق العطارين»[3].

ولما مرّ بمصر ناصري خسرو المروزي في النصف الاول من القرن الخامس للهجرة شاهد هذا الورق في كل الاسواق والحوانيت وقال: «ان العطارين والبقالين هم الذين يعطون المشتري ما يحتاج اليه من زجاج او خزف او ورق لتعبئة ما يشتريه منهم»[4].

وكانت امثال هذه الاوراق تتخذ قديما من ساقط البردي ولم يكن لها اسم خاص تتميز به ولذلك ترد احيانا لفظة «القرطاس» للدلالة على ما عناه العماد الكاتب الاصبهاني «مزاودا» (cornets) في بيتين له تشاءم فيهما من خط كتبه فقال بغاية الضعة والظرف.

هي كتبي وليس تصلح من جلـ ـدي لغير العطار والاسكاف
فهي اما مزاود للقطـا قير او بطانة للخفـاف

وقد اشار الى هذه المادة الطبيب ابن بطلان فقال: «صارت الكتب تباع على العطارين للحوائج وعلى الذهبيين للسفاتج وعلى الملاحين للمزاود»[5].

١) الخطط ٣ : ١٥٤
٢) صبح الاعشى ٢ : ٤٧٦ - ٤٧٧
٣) كتاب الافادة والاعتبار ٢٥
٤) سفرنامه تعريب الخشاب ٦١
Relation du voyage de Nasiri Khosrau, traduction de Ch. Schefler. Paris, 1881, p. 153.
٥) دعوة الاطباء طبعة زازل ١٣

ومن بيعت مسودات كتبه قبل تبييضها عبدالله بن حلف بن راشد المكي ابو محمد المصري « جمع تاريخاً لمصر اجاد فيه ومات وهو قد عجز عن مسوداته ان يبيضها لفقره فبيع على العطارين لصرّ الحوانيج كأن لم يكن بمصر من يعينه على تبييضه ولا ذو همة يشتريه مبيّضه »[1] وهذه من اقل آفات حرفة الادب في الشرق .

٢٧ ـ الورق المقوّى

هو المعروف اليوم باسم الاعجمي « كرتون » ولم نقف على ذكر له في ما خلا قول مؤلف زبدة التواريخ نور الدين لطف الله الهروي من اهل القرن التاسع للهجرة المشهور باسم حافظ عبرو في وصفه نهب الغُز نيسابور سنة ٥٤٨/١١٥٣ وما حل بخزائن الكتب فيها من الضياع والخسار فقال : بيعت المجلدات فيها بقيمة وزن الكاغد المقوّى[2] .

٢٨ ـ المصنوعات من الورق

ذكرنا قبلاً في الكلام على القراطيس انه صنع منها سنة ٨٩/٧٠٨ قميص للقاضي عمران بن عبدالله كُتب فيه عيوبه لمحاكمه عامل مصر بابيات ثلاثة . وفي ايام الحاكم بامر الله « عمل اهل مصر صورة امرأة من ورق يخفّيها وازارها وفي يدها قصة فيها من الشتم واللعن والمخالفة شيء كثير فلما رآها ظنها امرأة فذهب من ناحيتها واخذ القصة من يدها فقرأها فرأى ما فيها فاغضبه ذلك جداً فامر بقتلها فلما تحققها من ورق ازداد غيظاً الى غيظه »[3] .

واذا صحت هذه الرواية يكون دليلاً على حذق الصناعة في مصر وبلوغها الغاية من الاتقان والتقليد . وقد فاتنا كثير من اسرار الحضارة ومزاياها في الصناعة والتجارة فلا عجب اذا غُرّ الحاكم بالصورة وهي امرأة منتقبة .

وكان الورق يدخل في اعمال الحِرَف وضروب من الملابس والازياء لا سبيل لنا اليوم الى تعدادها . ومنها على وجه التمثيل الطواقي الجركسية « يكون ارتفاع عصابة الطاقية منها نحو ثلثي ذراع واعلاها مدوّر مقبّب .

١) معجم البلدان ٦ : ٥٣١

٢) *Relation du voyage de Nasiri Khosrau*, appendice p. 281.

٣) البداية والنهاية لابن كثير ١٢ : ٩

وبالغوا في تبطين الطاقية بالورق والكثير « وما بين البطانة العاشرة للرأس والوجه الظاهر للناس »[1] .

وقد تقدم شعر العماد الاصبهاني وتشاوفه ان كتبه تصبح من بعده بطائن للخفاف . وفي كتب الحسبة صدى لهذه العادة قال عبد الرحمن الشيزري يعني الاساكفة : « لا يعملون الورق والليد واشباهه في اخفاف النسوان لكي تصر عند المشي كما يفعله نساء بغداد فانه قبيح وشهرة لا تليق للاحرار »[2] .

وكان الورق في الصين والخطا يدخل في جملة الثياب. حكى الشهاب العمري عن بدر الدين حسن الاسعردي ان بعض صناعهم عمل ثياباً من الورق وباعها على انها من الكرباوات الخطائية لا يشك فيها شاك. ثم اظهرهم على ذلك فعجبوا منه[3] (مسالك الابصار) .

ومما يجدر التنويه به هنا من مآثر الحضارة العربية انهم تنبهوا لحل الورق حتى يصير كالعجين واتخذوا منه بعض الاواني والادوات . قيل ان اول من تفطن له المهندس كريم الدين ابو بكر بن محمود السلماسي . قال كمال الدين الفوطي : قدم علينا سنة اربع وستين وستمائة (١٢٦٥ م) الى حضرة مولانا نصير الدين بالرصد المحروس وكان له معرفة بحال الكاغد الى ان يصير كالعجين ويعمل منه الآلات كالاطباق والزباري والمقالم وهو الذي صنع كرة من الكاغد وخياطة مجوفة في غاية ما يكون وخططوا عليها صورة الاقاليم »[4] .

ولكن بعض الفقهاء كانوا يكرهون هذه المصنوعات من عجين الكاغد لا شك خشية أن يكون بعضه قبل حله خُطَّ فيه اسم الله وكان فريق منهم يشدد فيه ويزجر عنه زجراً بليغاً. قال مؤلف « انتصاب الاحتساب » فعلى هذا القياس يُمنعون من اتخاذ الطشت في الوليمة من الكواغد في العيد وليلة النصف من شعبان[5] .

---

١) الخطط للمقريزي ٣ : ١٦٨

٢) نهاية الرتبة في طلب الحسبة لعبد الرحمن الشيزري ٧٣

٣) صبح الاعشى ٣ : ٤٧٨

٤) تلخيص مجمع الآداب في معجم الالقاب طبعة الهند . جزء فيه كتاب الكاغد في خزانة الجامعة العبرية بالقدس ٧١-٧٢

٥) نصاب الاحتساب للشيخ عمر بن محمد بن عوض الشامي الحنفي . نسخة في خزانة دار الآثار في القدس منقولة من المكتبة الخالدية .

الآثار المطوّية (تابع)

جمعها وعني بها ونشرها الاب انطونيوس شبلي اللبناني
رئيس انطوش حمص

الشيخ ناصيف اليازجي يمدح الامير ملحم ابن الامير بشير الشهابي الكبير

أَلِفَ الشعراء في عهد الشيخ ناصيف اليازجي ، التقرُّب من الامراء والمشايخ الحكّام الاقطاعيين وذوي الوجاهة ، باطلاق السنتهم في مدحهم نثرًا او شعرًا ، تزلفًا اليهم لنيل الحظوة لديهم ، لِمَا كان لهم من الصولة والسطوة والسيطرة والعظمة والمناعة والرهبة في النفوس ولِمَا في قبضة يدهم من الأكياس المنتفخة بالفلوس ، لذلك كان الشعراء يتبارون ويتسابقون الى إطرائهم وإلباسهم من حلل الوصف والثناء ثوباً فضفاضاً مجرَّر الذيول. والشاعر الذي تقع قصيدتهُ عندهم موقع الاستحسان والقبول ، يكون محسودًا مرموقاً بلاحظة الرضا والاعجاب.

وقد اعتاد هؤلاء الشعراء في ذاك العصر ، المنافسة والمسابقة في نظْم الشعر وتضمينه الاحاجي والالغاز والتواريخ الكثيرة وانشاء الاوزان على حروف الهجاء مجبوكات الاربعة الاطراف ، او من الجناس العاطل ، دليلًا على قدرتهم وخبرتهم في صناعة النظم وتلاعبهم بفنّ الشعر وضروبه . وكانوا يرقبون الفرص لإعلان هذا المديح حتى اذا سمعوا بأن ذاك الامير او الشيخ الاقطاعي ذهب الى الصيد وظفر بالطرائد ، او عاد من سَفَر ، او انتصر في معركة ، او اطلق شعر لحيته ، او فرش ديوانه بالمقاعد والحشايا ، بادروا الى قصد القصائد في مدح هذا الامير او ذاك الشيخ ورفعه فوق السحاب ، ومنهم من ضمّن قصيدته مئات التواريخ وبعض الاحاجي والالغاز . وكانوا يستهلّونها بالغزل والتشبيب متخطّين منه الى الممدوح جريا على عادة الشعراء الاقدمين .

وها انذا نرى الشيخ عبدالله البستاني « معلّم الفصحى وربّ بيانها » ينظم ثلاث قصائد لغوية ، شبيهة بقصائد عرَب الجاهلية ، في تهنئة السيد اللبناني البطريرك الياس الحويك بتسنّمه عرش البطريركية . وقد ضمّن الثانية منها

ستة آلاف ومئتين وستة عشر تريخاً لسنة ١٨٩٩ التي فيها انتخب الحويك بطريركاً ، فسميت « آية في المعجزات » والثالثة مؤلفة من اربعة ابيات ، فيها مئة وعشرون تريخاً ، نظمها عندما أهدت الذات الشاهانية الى غبطته الوسام الاول المجيدي[1] .

وقد شطّر الشيخ عبدالله معلّقة عنترة الشهيرة فاستهلها :

« هل غادر الشعراء من متردّم فقدٌ لمثلك برأس المرقم
أم هل وردت ظباء منعرج اللوى «أم هل عرفتَ الدار بعد توهّم»

وأودعها ما رقّ وطاب للنفس ، من كليم الثنا. على المطران يوسف الدبس ، وكشف عمّا غمض من مفرداتها وابياتها وأثبتها في آخر مجموعة تهاني الشعراء للدبس بعيد يوبيله الفضي[2] الذي جمعها البستاني ورتّبها ووقف على طبعها ورفعها الى سيادته ، مختالةً ببرد تشطيره معلّقة عنترة الشيب المحبّر .

وممّا هو معروف ، ان الشيخ عبدالله بعد ان أتمّ تشطير هذه المعلّقة تلاه على مسامع صديقه الاديب الكبير الشيخ ابراهيم الحوراني ، راغباً اليه في إبداء رأيه فيه . ولمّا اتم تلاوة القصيدة ، أعجب الحوراني بحسن سبك التشطير وسلامة المعنى وقوة المبنى اللذين لا يفترقان ولا يشذّان عن الاصل ، واثنى الثنا. المستطاب على مقدرة البستاني ، غير ان الحوراني لاحظ ضعفاً او اضطراب معنىً في عجز احد الابيات فكاشف به صاحب التشطير ، فاجابه البستاني : « ان عجز هذا البيت ليس هو لي ، بل لعنترة » . وكان الشيخ عبدالله من المعجبين بشعر عنترة ، وهو الذي رصع ديوانه المطبوع في بيروت بهذين البيتين النفيسين :

ديوانُ عنترةَ العبسيّ تابعةٌ في كلّ فنٍّ يفوق البدوَ والحضرا
ان لم يكن أفرسَ الفرسانِ عن ثقةٍ فانه دون شكٍّ أشعرُ الشعرا

فبرهن الشيخ عبدالله بهذه القصائد البليغة الجيّدة ، وبتشطيره معلّقة عنترة العبسيّ وحماشاته في صعيدٍ واحد ، على خبرته الواسعة وقدمه الفارعة في اللغة العربية .

---

١) طالعها في كتاب « لجة الحق في تهاني غبطة بطريرك الشرق » صفحة ٧٠-٨١ . مطبعة الارز ، جونية – لبنان . سنة ١٩٠٠ ، في ٣٦٦ صفحة بقطع كبير .

٢) كتاب « عرفان الجميل لصاحب اليوبيل » مطبعة جريدة المصباح ، بيروت سنة ١٨٩٧ ، في ٤٨٧ صفحة ، بقطع كبير .

ومما يدعو الى الاسف ، هو ان بعض ادبائنا عصرنا يعتبرون مثل هذه الآيات الباهرات في الشعر غير مستحبات اليوم ، ولا يستكفون من الادلاء بهذا التصريح ! وان دلَّ على شيء فعلى الاقرار من حيث لا يدرون ، بما اتاه الغة اللغة وجهابذتها من البدائع والروائع الكاشفة الستار عن نبوغهم ومقدرتهم وضبطهم عنان الضاد ، شأن اربابها الفوارس الميامين .

o

وقد نحا الشيخ ناصيف اليازجي بانشائه هذه القصائد في مدح الامير ملحم ابن الامير بشير الشهابي الكبير ، نحو صفيّ الدين الحلّي في مدح الملك المنصور بجبوكاته الارتقية ، والغيزاني المغربي في منظوماته المحبوكة الطرفين المبنيَّة على حروف الهجاء المثبتة في صفحة ٣٣٢ من مخطوط خزانة دير الشير بتكين — سوق الغرب الذي نحن في صدده ، ممَّا يُنبئ عن جودة قريحة الشيخ وقدرته على التصرُّف بضروب اللغة وخبرته بفنونها واساليبها وانقياد مفرداتها له . وانا لا نستكثرُ ذلك على الشيخ ناصيف ، لانه كان موهوباً ويقدره رجال الادب والعلم قدرهُ وقد باحثوهُ وراسلوهُ وأجلوهُ ومدحوهُ بابلغ عبارات الثنا والاطراء . ولما انبثقت تلك المناظرة او المناقشة العلميَّة بين الشيخين فارس الشدياق وابرهيم اليازجي وبلغت من الاحتدام والاضطرام اقصى مدى[1] ، انبرى ابرهيم بك الاحدب والشيخ يوسف الاسير الشهيران لمناصرة الشدياق ، فاخذا يفلّيان وينتقدان بعض مؤلفات الشيخ ناصيف ، فقال ولدهُ الشيخ ابرهيم عنهُ :

ان ممدوحَ اربعين كريماً لا يبالي «بأحدب» او «اسير»

وكان الشيخ ناصيف اشهر من نار على علَم ، يحجُّ بيتهُ الادباء والشعراء من جميع الطبقات والمذاهب ، للاستمتاع بحديثه والاستفادة من معارفه . وكان معروفاً بتمسكه بعمامتهِ التي لم تفارق رأسه طوال حياتـه ، وكأني بهِ يقول عن نفسه :

انا ابنُ جلا وطلّاعُ الثنايا متى اضع العمامةَ تعرفوني

---

١) عليك بما في كتابنا « الشدياق واليازجي » مطبعة المرسلين اللبنانيين في جونية سنة ١٩٥٠ ، في ٣٥٠ صفحة بقطع كبير .

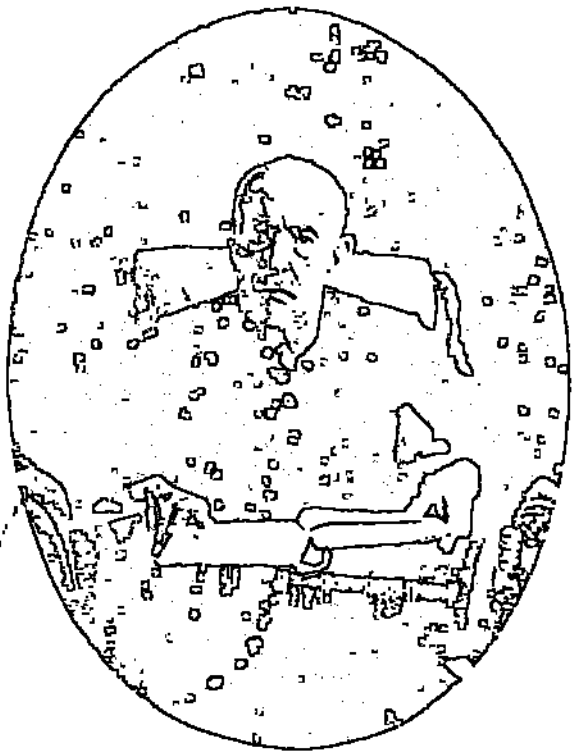

الشيخ عبد الله البستاني

١٨٥٤ — ١٩٣٠

وقد أطلق على قصائده هذه اسم « المحسنات » ، وهي مسطّرة في صفحة ٤٢٧ من المخطوط المذكور ، ومصدّرة بهذه العبارة وهي :

« وله (للشيخ ناصيف اليازجي) ، قصائد في مدح الامير ماجد الشهابي ، كلّ قصيدة منهنّ عشرة ابيات مبدّيات على احرف الهجاء ، محبوكات الاربع وسبّاهنّ بالمحسنات » .

قافية الألف

الى مَ جفاءٌ بل على مَ جفاءُ ... أهاجرتي عليَّ الوصال خطاءُ
ألم تعلمي ان الجفا معظم الخطا ... اذا صحَّ بين العاشقين ولاءُ
أضعتِ عهودي في هواكِ وانّما ... أضعتُ حياتي ، حيث ليس حياءُ
أيحسن ما بين المحبّين هكذا ... أبى اللهُ ، ان المنكرات جزاءُ
أنا سيدُ العشّاق طرًّا لأنّنا ... أظلُّ ملاحَ العصر منك لواءُ
أخذتُ هواك الجوهرَ الفردَ عندما ... أخذتُكِ ذخرًا خيلَ منهُ غناءُ
أربتُ فنونًا في البديع أجلُّها ... بغابةُ رأيي ، والزمانُ صباءُ
أمانًا من الشوق المبرّح بعدما ... أصاب الضنى جسمي ، وعزَّ شفاءُ
ألا وقفةً في الربع عندكِ ربّما ... أبثُّ اليكِ الوجد كيف اشاءُ
اذا لم يكن لي في الهوى صلةٌ جرى ... أسرُّ ، فعندي بالخطاب رضاءُ

قافية الباء

بين الدموع ومقلتيَّ كتائبُ ... برزت فولّى النومُ وهو الهاربُ
باتت ومنها في الجفون تقلّبٌ ... بُدلت لديه من الدماء سواكبُ
بأبيكَ دعْ عنك الملامة واتئبْ ... بعد الوقيعةِ في الهوى يا صاحبُ
بي علّةٌ لم يأتها متطبّبٌ ... شفا ، فكان لها عذابٌ واصبُ
برح الخفاء فخذْ ولستُ بمُتبٍ ... يدي ، وعلّك في النهوض تجاذبُ
باحت دموعُ العينِ ، وهي سواكبٌ ... بسرائري ، فأنا المبيحُ الحاجبُ
بُعدًا لهنَّ مدامعًا لن تكتبي ... بمِدادِ الحسودِ ، بلى لهنَّ تراتبُ (١)
برّتْ وعقّتْ ، والعقوقُ مُشبّبٌ ... بالبرّ ، وهي طوائعٌ ونواهبُ
بئس المصيرُ ، وما دموعي إنْ تجبْ ... بالمُذنباتِ ، وللدموعِ نوادبُ
بدّلَ الهلالُ طلوعهُ لتجنّبٍ ... بالحُجْب ، فهي مواطرٌ وسحائبُ

(١) عظام الصدر (في الاصل) .

قافية التاء

نزلت علينا بازدا السندسيّة ... تُرينا وميض البرق ضمن الدخنة
ضاحيةٌ حيات ملاكَ جلالة ... تُلقّي بنيس الوحي أهل النبوّة
تلت مقلتاها سورة الفتح ليلة ... تلا عطفها السبع المثاني القديمة
غميمة أحلاقها خندفيّة(١ ... تنادي علينا عبنها يا كمرّة
تبارك ما أحلى وألطف ما أتت ... تصوّرُ في الأبصار حوراء جنّة
تراءت لعيني في الحجاب فأوشكت ... ترى لن ترى لو لم ترى حجبها التي
تعلّقت الأبصارُ منها بما رأت ... تطوّقَ روح النيب منها بحضرة
تمشّت بها كالوهم في النفس فانثنت ... تعودُ على رسم الهدى بالحقيقة
تعشّقتها منذ الصبا فتعشّقت ... تلاقي الحاظٌ لها كالبيّة
تُبتُ بها فاعجب وإن هي كلّمت ... تراها، وما في كفّها الصورُ أحيت

قافية الثاء

ثنى عطفهُ عني الهوى وهو عابثُ ... ثناء، فهل يا ثانيَ العطف ثالث
ثغولٌ بعهباء الدلال محدّثٌ ... ترى ارضه، ان النجوم نوافثُ
ثوى في الحشى لكنّهُ غيرُ محدث ... ثوى في الحنايا فهو فيهنّ ماكثُ
ثقيلٌ من الاعراب ردفاً مهيّثٌ ... ثنايا عهودي خفّهُ فهو ناكثُ
ثنايا(٢ درٌّ بالعقيق مشبّكٌ ... ثغرٌ ومنهُ الدرُّ حين يحادثُ
ثقيفُ قوامٍ ماثل القلب كم تجشّت(٣ م ... دونهُ الاوصال والوصلُ باعثُ
ثبوتٌ على نيب النفار مرنّثٌ ... ثياب الوفا مستقبل العذر حانثُ
ثبرت(٤ به من لامني وهو محدثٌ ... ثبوري فهل ودٌّ جزاهُ الكوارثُ
ثلمتُ تبا الاعراض عنهُ ولم يفت ... ثليم الحشى بين لحظهِ وهو فارثُ(٥
ثبتُ الى ان مات صبري ولم ارث ... ثوابا سوى ما عوّدتني الحوادثُ

قافية الجيم

جينك من زُهر الكواكب ابلجُ ... جمالاً ومن زَهر الكواكب(٦ أبهجُ

١) الخندوف : المتبختر في مشيه كبرًا وبطرًا.
٢) ثنايا : مدمث تلال عهد (في الاصل) .
٣) تجشت : تقطع (في الاصل) .
٤) ثبره : طرده (في الاصل) .
٥) قاطع (في الاصل) .
٦) الكواكب الاولى : النجوم . والثانية : ما طال من النبات .

حمت اليها فالناسُ من كلّ منهجٍ ... جميعًا حانبك المحاسن نلجُ
جلوت المحيا في المقيق فمالجٌ ... جوانبها تحت الدجنّة ترهجُ
جعلت لطمر الليل غير مفرّج ... جبونًا بفراض الشعاع تُفرَّجُ
جرحت بسهمٍ من لحاظك خارجٍ ... جوارحَ ظلّت بالدما تتضرّجُ
جنيتُ الذمى منها بلحظٍ متى يلجْ ... جهات الحشى نادى عليها الا أخرجوا
جفونك في الاكباد وهيَ غوانجٌ ... جفونٌ لها باتت جما تتفلّجُ
جرى دون خدّيها من النار مارجٌ ... جلاهما وظلّت بالدما تتهيّجُ
جزمت بارعاد الفرائص ان تمج ... جبالٌ من الردف انثنت تتزجرجُ
جليتُ الهوى منها فكان لمانجٍ ... جنونًا ولكن اين اين المعرَّجُ

قافية الحاء.

حبّذا ما شربتُها كأس راحٍ ... حلوة الطعم راحة الارواحِ
حرّةٌ غرّةٌ صراحٌ رداحٌ ... حُبيت من سادن الاقداحِ
حار فيها فؤادُ كلّ فصيحٍ ... حينما جاء ذكرها بافتتاحِ
حُصر النطق دونها عند شرحٍ ... حسبك الذكر يا أخا الشرّاحِ
حيثما لاح ذكرها في مديحٍ ... حوّل الليل في اهاب(١ الصباحِ
حسدت أنجمُ الاثير ضواحٍ (٢ ... حُبًّا لحنّ فرقها كالصحاحِ
حصلت في قلوبنا وهي روحٌ ... حيَّ هل(٣ بالصلاح نحو الصلاحِ
حرّمت شربها على غير ناحٍ ... حاثها قبل موت داعي الفلاحِ
حكّم الكفَّ بالاكارس واسح ... حكمةٌ بالاحداق في الاقداحِ
حسنٌ ان رجعتَ مني بنصحٍ ... حندرًا ان تبيت يا صاحِ صاحِ

قافية الخاء.

خدها على الاوتار وهي صوارخُ ... خمرًا لها صافي الزجاج براذخُ (٤
خلّابةٌ غلّابةٌ من لم يبخْ ... خدًا لها فبيتُ وهو الراضخُ
خودٌ من الماء الزلال لها اخٌ ... خُطبت اليه وليس عندٌ فاسخُ

---

١) اهاب : جلد (في الاصل) .
٢) الضاحية : الناحية البارزة والظاهرة من كلّ شيء ج ضواحٍ . ومنهُ يقال : شكت ضواحيه اي ما برز منهُ للشمس كالكتفين والمنكبين .
٣) حيَّ هل : اعجل (في الاصل) .
٤) اسار (في الاصل) .

حلفت وقد رقت اليه بأفرخ ... حفت عليه كأنها تتناسخ
حلفت من العصر القديم ولم تشخ ... حورا فترضيها لذاك شايخ
حاضت معاصية فكان تلطخ ... حصبت به وكذا الدماء لواطخ
خلع الندم حجابها فتضمخ ... حزف الدنان وناشق متبازخ (١
خجلت فألهبها الحياء فلم تبخ ... حمرا ولو ألقي عليها الناضخ
خانت معاهدها الفتاة فلم تصخ ... خبثا لما يدعوه صوت صارخ
خدعت فجاءة الحتف وهو مرسخ ... خبر التناسخ ان يصح تناسخ

قافية الدال

در بكأس المدام يا ابن الجياد ... در بكأس المدام وانش فؤادي
دع لحظ مهجتي تقرح ببرد ... دائم من لمبيها مستفاد
داو سقمي بما قضى وجد ... داؤه كان أكل الاكباد
دافع الروح فاسقنيها لرد ... دون ذاك الدفاع قبل الطراد
دار اوشيك واجلها بين ورد ... دبجته بأحمر وقاد
دمية من رضابها لك شهد ... دانيات قطوفه للابادي
دنها معدن الحياة وورد ... دافق بالسرور للورد
دأبها شن غارة بعنود ... دحضت بالصلاح جيش الفساد
دم على وصلها اللذيذ مزد ... دين مفروضها على كل صاد
دين حق يراه كل رشيد ... دين حق فكن من العباد

قافية الذال

ذو جدوة (٢ يحشر لدجها الهربد (٣ ... ذخرا وخذها ذات نور تؤخذ
ذهبية ليست بذات تفلذ ... ذهب الظلام بنورها يتفلذ (٤
ذرت لنا في الكأس لاهية اذ ... ذرت خشيت على الزجاجة تنفذ
ذهل النديم فجاءها بالماء اذ ... ذاك اللهيب مخافة يتموذ
ذات احتجاب في الخدور فلم يلذ ... ذو الستر ساحتها ولكن ابن ذو (٥
ذرت الدموع شفقها من آخذ ... ذلا وأومت اين اين المنفذ

١) متقاعس (في الاصل) .
٢) جمرة لا تخمد حتى ترمد (في الاصل) .
٣) كاهن المجوس (في الاصل) .
٤) يتقطع (في الاصل) .
٥) ابن ذو — الستر . وهو اكتفاء .

ذعت وكانت لا تلين لشامد (١ ذبل الشتاء وطالما تستحودُ
ذبلت لمسرحها المياه فقلتُ اذ ذبلت لمسرحك حار فيك الجيدُ (٢
ذقها على عبث الندم بها ولُذ ذا المتندى (٣ ان كنتَ من يتلذّذُ
ذُد (٤ عندها ذكرى حبيب واتخذْ ذكرى الكؤوس فما سواها يُبذُ

قافية الراء

روّاك في عين المشوق الباصرِ ريٌّ تترّه عن صدور الصادرِ
رمقت محاسنك العيون فلم تذرْ رمقاً لعين محاسنٍ في الخاطرِ
رعياً لوجهك من هلالٍ نيّرٍ رعت الغزالة نوره من باكرِ
رمد الحسود به فقلتُ له أذكرِ رجعان حمّاد الإمام الناصرِ
راقي العلى شرفاً امبرٌ زاجرٌ ريبَ الحوادث صاغراً عن كابرِ
رحبُ الذراع من النضار مشطّرٌ ردفين بين يامنٍ وياسرِ
رامت حواسده انتحالَ نظائرٍ رُدّت وقد ظفرت بحال القاصرِ
رشمت بأنفسها الصفات فليم تمرْ رسمَ الصفات حقائقاً من قادرِ
رفعت لمجدك يا سلالةَ حيدرٍ رايات حول الله بين عشائرِ
راضت مناقبك الرواةُ فحامرٌ رقّت حواشيه لحمرة آخرِ

قافية الزاي

زيّن نظمي وصفك المعجزُ زيّنته خودٌ بالحلى تبرزُ
زخرفتُ ايانا بمبه لم تمز زخرفَ ما ساغوا وما طرّزوا
زاوج عيني نعيها انه غزْ زاخره والنصب ما ميّزوا
زهت قوافيه فان ادتجزْ زها لديّ الحظّ والمركزُ
زفتها كالغيد لم تستجزْ زائرها إلّا رضى يحرزْ
زهرُ ارتنا طلعةً لم تغزْ زُهرُ العلى فيها ولو عزّزوا (٥
زحّ حجبها وانظر اليها وورزْ زخرفها هل كان ما يكترْ
زلّت لواحيها فلم ينتهزْ زيدٌ وعمرٌ وبعض ما يلمزْ
زوامل من ذكركم لم تجزْ زجراً لها والسير مستوفزْ
زارتك فانفحها قبولاً وحزْ زاخرَ شكرٍ كان لا يُجزْ

١) شذ ذيلهُ : رقمهُ (في الاصل).
٢) النقّاد المتبيرا (في الاصل) .
٣) المتندى : المحفل (في الاصل) .
٤) ادفع (في الاصل) .
٥) اشارة الى قول عبد المجيد (في الاصل).

قافية السين

سواك يميلُ عن أدبِ النفوسِ ... ساء او يميلُ الى الكنوسِ
سلمتَ من العيوب فانتَ رأسٌ ... سموتَ جلالةً بين الرؤوسِ
سائلك لا يغادرها التباسٌ ... سوافرُ في المآثرِ كالشموسِ
سجايا كالعقود سنًى ونفسٌ ... سنيةٌ جوهرٍ فردٍ نفيسِ
سليل الحرس المخزوم غرسٌ ... سقاك اللهُ يا خير الغروسِ
سلكتَ طريقهُ ونداك درسٌ ... سميرك في القيامِ وفي الجلوسِ
سهرتَ على الكمال ولست ناسٍ ... سوالف عهد حرمتو الرئيسِ
سعيتَ الى طلاب المجد حاسٍ ... سلافَ المجد لا بنتَ الفسوس (١
سبقتَ الى المحامدِ غير نكسٍ ... سباقَ الخيل في حرب البسوس (٢
سُقيتَ من الفضائل كلَّ كأسٍ ... سبت بالصفو كأسَ المندريس (٣

قافية الشين

شهد الفضلُ فيك غير مُحاشٍ ... شافهًا في كمالك الدهّاشِ
شاهدتك النفوسُ في ظلّ عرشٍ ... شادهُ اللطفُ فانثنت باندهاشِ
شاقها منك طلق وجهٍ بشوشٍ ... شفَّ عنها فلألأت في النواشي
شفقت منهُ مهجةٌ بعواشٍ ... شاركت دونها الدما في الحواشي
شاع في الصُحْف من صفاتك رقترٌ ... شبهَ روضٍ بزهرها في انتعاشِ
شرحها يجهدُ العقولَ منشٍ ... شُهُبَ الفكر ليس بالمتلاشي
شغلٌ لي بذكرها واهتشاشٌ ... شدَّ ازري فشدَّني في اعتشاشِ
شاعرٌ شاعرٌ جنَّ موشٍ ... شفَّهُ السحر شبه وشي الرياشِ
شرع الشهمُ في صفاتك منشٍ ... شعرهُ فانثنى بعزمة حاشِ
شرَّف اللهُ فيك أرحبَ عرشٍ ... شرَّفتهُ منك خطوةُ ماشِ

قافية الصاد

صفاتك تبرٌ في المحاتف خلصُ ... محاتفهُ كادت هنالك ترقصُ
صفت رقّةً حتى حكت وهي غوّصٌ ... صبا نجدَ في عرف الكبا(٤ تتقمّصُ

---

١) يريد بنت القسوس : معتّقة الدبر ، اي الخمرة .
٢) لقب ناقة قام بسببها الحرب بين بكر وتغلب سنة ٥٠ (في الاصل) .
٣) من اسماء الخمر (في الاصل) .
٤) الكبا : البخور (في الاصل) .

صحائف نبر نزهت من نقائص ... صوادع حسن نورهن معصفر (١)
صدعن قلوب الحاسدين فان تعس ... صاغوها منهم جريرٌ وأحرص (٢)
صفا للكرود الدهر من متحمص ... صفاة باطف الله لا يترص
صبوحٌ صنوحٌ حافظ العهد مخلصٌ ... صمودٌ له في ذروة المجد أخمص (٣)
صدوقُ روايات الخطاب منصّصٌ ... صدوعٌ بآيات الكتاب ملخّص (٤)
صبورٌ على هول الوغى غير ناكص ... صدومٌ حنايا الشوس والشوسُ (٥) تنكص
صبودٌ له عضبٌ شجيٌّ مقصّصٌ ... صديُّ الحشى في سوقه الدمُ برخص
صقيلٌ حكى لمّا أتى وهو قانصٌ ... صيًّا بقرطٍ من عقيقٍ يخرّص

قافية الضاد

ضاءت بمناك قوافي القريض ... ضنن تجلّيها الطويل العريض
ضاءت به الشمس فإنّما تمضْ ... ضلّ النهى ثمّ اهتدى بالوميض
ضاق مقاليداً بكم خافضٌ ... ضاع وقد هام بذاك الحضيض
ضرّ به الحوض فان يرتبض ... ضاة به الوجدُ فأنشا يفيض
ضمّت شمل المجد لم ينتقض ... ضأ وأجريتَ الندى لا يغيض
ضمّت بالنصر لمستنهض ... ضمانك الادغام للمستفيض
ضربتَ مرداقاً لمستعرض ... ضوء القرى تبدو ثناياك بيض
ضربك دون الوحش من ابيض ... ضيافةٌ والزادُ لحمٌ غريض
ضع يا اخي الوقرَ فمن يعترض ... ضاحي الضحى عاد بطرف غضيض
فسّن به وارجع له وانتهض ... ضعفًا وقل اني الصحيحُ المريض

قافية الطاء

طلتَ باعًا اصابات الخطط ... طالب الالفة عمًّا فرط
طبتَ اصلًا ثمّ فرعًا فاغتبط ... طيّب النفس لسك الدهرُ غبط
طاعك الدهرُ فأنّى تشترط ... طلبًا فالدهرُ من بعد الشرَط (٦)
طاف سبًا حول يمناك فنط ... طرفهُ الأيسرَ بالرضوى فقط

---

١) واضح (في الاصل) .
٢) شاعر (في الاصل) .
٣) باطن القدم (في الاصل) .
٤) يريد بالكتاب : الكتاب المقدّس المعروف بالتوراة .
٥) الاشوس : الجريء على القتال الشديد ج شوس .
٦) الجنود (في الاصل) .

طست النعس لكم من حافظ طبعهُ باحظ منها والنفط
طاهرُ القلب رحيمٌ منعطفْ طربٌ بالجود محمود النمط (١
طَبَقُ الكفِّ حصيفٌ فائقٌ طرفهُ دائرة الكون ضبط
طارقُ الهيجاء قِرْنٌ ضاغطٌ طالعٌ رايتهُ لم تُرَقَّ قط
طاعنٌ أسمرهُ ان يختبطْ طرفاهُ كان مثواهُ الوسط
طال عمراً في سبيٍ باسطٍ طالما مد الصباحُ والنسطْ

قافية الظاء

ظفرت بوجهك أعينُ الالحاظِ ظفرَ السامع منك بالالفاظِ
ظهرت خلالك في المدى فلاحظٌ ظرفاً لها ومولَّعٌ بحفاظِ
ظنَّ الحسود بلوغها بتيقُّظٍ ظنَّ الوهاد تساوياً بشماظِ (٢
ظمئت عدائك منك في فوائظٌ ظمأً تواصل حرَّهُ بشواظِ (٣
ظلٌّ لذات الفضل انت محافظٌ ظمنَ الفضائل باللطائف حاظِ
ظلَّافُ نفسٍ (٤ عن هواها مبطٌ ظهرَ العفاةِ برفدك البهَّاظِ
ظامٍ الى نيل العلى متيقظٌ ظامي الهنَّد يوم خوض عكاظِ (٥
ظلت يداك الودق فهي جوائظٌ (٦ ظلماً تريك نصاحبَ المتاظِ
ظرفت سجاياك الرقاق فلم تظِ ظلماً (٧ وعندك مكنةُ الاحفاظِ (٨
ظلَّت ديارك خير ماجٍ حافظٍ ظمئت اليه كتائبُ الاوشاظِ (٩

قافية العين

على ديارك اوطارُ البلى نفعُ عاماً بانك للاوطار منتجعُ
عوَّدتها العزَّ ثوباً غير منتزعٍ عنها وعادتها في ربعها الورعُ
عروسُ خدرٍ لها في مهرها بدعٌ عفيفةٌ ما لها في غيركم طمعُ

---

١) الطريقة (في الاصل) .
٢) حرف الجبل (في الاصل) .
٣) لهيب النار (في الاصل) .
٤) عن كذا . . . (هنا كلمة طارت بالمقراض) . رجلٌ ظائف النفس ، اي تزَّمها .
٥) عراك (في الاصل) .
٦) جاظ (في الاصل) .
٧) الظلع : الضيق (في الاصل) .
٨) الاغضاب (في الاصل) .
٩) الجماعات (في الاصل) .

عاجت اليك فعادت باحور مترع ... عهد ائتلف وبي ما تدع
عرت بسيفك نيلا وهو ماتع ... عر الحسام بكفي منك فاصطلع
عذب متى سل من يتساك في دمع ... عرفت كيف الصبا سالت له تبع
عاد البراق وميضا وهو متقع ... عند القتال غشاه ظل يرتفع
عم الثرى منه خال وهو منتقع ... علا وكم لاح برق ليس ينتفع
عش بالسعادة يا مولاي في منع ... عن الزمان وسعد ليس يقتنع
عالي المراتب ما غنت على قطع ... عنادل طاب من تغريدها السمع .

قافية الغين

غيرك من بالى بخطب بالغ ... غما ومن بات بليل نابغي (١
غير اسلوب المذي ولم ترغ ... غبنا على حؤول حال زائغ
غلامك الدهر وليس سائغ ... غصة سوى دواك السائغ
غلبت بالله سطاة مبتغ ... غلبك ، فارتد بحال فارغ
غاثك ربي من إمام بالغ ... غايات مجد جل في المبالغ
غزير فضل للغاة نابغ ... غديره الفائض بالنوابغ
غوث اذا حثت اليه ارسغ ... غامت جامات المدى اللواذغ
غالب طول في الوغى مصبغ ... غير المذاكي (٢ بالدما البوائغ (٣
غصن على نقا كثيب دايغ (٤ ... غلائه من وفده السوابغ
غض الصبا ان لاح وهو بازغ ... غارت عيون الشهب البوازغ

قافية الفاء

في نسج مدحك يحسن التفويف ... في الناظمات فكلهن شنوف
فرض علينا الجري فيه فإن نقف ... فالتيه من عاداته التوقيف
فلت لطائفة بفضل مؤلف ... فل السلاف فحبذا التأليف
فكأن فكري في صفاتك إن أصف ... فلك به زهر النجوم تطوف
فعلى ديارك من تحيتي مشعف ... فقر رسول جريرها المذروف
فهي البروج حوت نجوم عوارف ... فيها بلوح الكوكب المروف

١) اشارة الى قول النابغة الذبياني (في الاصل) .
٢) المذاكي : المثل الفتية (في الاصل) .
٣) وباغ دمه : هاج (في الاصل) .
٤) دايغ : ناعم (في الاصل) :

فلأطرقنْ ربوعها رفائف ... فوق السجوف لها الشعاعُ سجوفْ
فتنت مفاصير الخيامِ بزخرفٍ ... شأنت وكان العاطفُ المعطوفْ
فاليكها كالعقود ذات مراشفٍ ... فليجرِ حكاها الكوثرُ الموصوفْ
فرَّت الى عليائك وهي هوائفٌ ... في نسجِ مدحك يحسنُ التفويفْ

قافية القاف

قفْ بصبح جيشك المتألقِ ... قد زال من مكنون صبري ما بقي
قلَّ احتمالي في البعاد ولم تطق ... قدمي التقدُّم من مهابة مشفقِ
قدَّمتُ من خطَّابي اليك فشُقِّق ... قرب الديار وسابقٌ لتشوّقي
قُلْ فادنُ موثقًا فحلمي لم يضقْ ... قبلًا على سعةِ الجلال المطبقِ
قرَّت عيونُ الزائرين به فشُق ... قلبًا ودونك عصمة فتعلّقِ
قُمْ فأجنِ ما تهواهُ نفسك واعتنق ... قطعَ الجواهرِ من يديَّ ومنطقي
قست بثاني من حبايَ لطارقٍ ... قسمًا يؤنسني المسافرُ ما لقي
قالت لهُ وغديرها متدفّقٌ ... قف حجرةً(١ قبل الشجاج المغرق
قلَّدت عنق الدهر حتى لم يرقْ ... قطفُ(٢ اللآلئ عنهُ في الأعنقِ
قومي بنو بدرٍ واني لاحقٌ ... قومي على نهج الكمال الضيّقِ

قافية الكاف

كرمتَ خلقًا وخُلقًا أيُّها الملكُ ... كأنَّما انت من اقنى اللظى مَلَكُ
كرمتَ من كلّ فضلٍ جلَّ عن درك (٣ ... كأنَّما طهورًا من التقوى لها دَرَكُ (٤
كرمتَ كفًّا غنًا بالمال من مُسُكِ ... كلًّا وفهتَ فن انفاسك المِسَكُ
كفلتَ للخلق رزقًا غير منتهكِ ... كانت طلاقتهُ للبؤس تنهتكُ (٥
كدتَ المدى بجنانٍ منك مشتركِ ... كنَّا بشدَّة بأسٍ ظلَّ يفتكُ (٦
كافحتهم بحسامٍ غير ذي سهكِ (٧ ... كالبرق من دونه الامطار تنسفكُ
كم راح منك شديد البأس في ضنكٍ ... كربًا وكم راح عانٍ هزَّهُ الضحكُ

١) قف حجرةً : ناحيةً (في الاصل) .
٢) القطف : العقد (في الاصل) .
٣) لحاق (في الاصل) .
٤) قرار (في الاصل) .
٥) تضعف (في الاصل) .
٦) امكنهُ . . . (هنا كلمة ذهبتْ بالمقراض) .
٧) السهك : . . . هنا كلمتان قطعها المقراض .

كالبحر يترك موّارًا على هدكِ ... كلّ الأسود وتنحو ضفة السلكُ
كن يا أبن حيدر صابًا عند معترك ... كرهًا ، وشهدًا اذا ما فات متركُ
كفيت رمحك جدبًا فهو في ضحك ... كأنّك الدرّ تمًا والحمى فلكُ

قافية اللام

لولاك يا حدث القضاء المُنزلِ ... لم يفصل الاعناق حدُّ الفيصلِ
لس الحديد مضاك متشحًا فقل ... فمه درّك يا قرند المنصلِ
لبثتْ عزالمك العجاجَ فلم ترل ... لذكائها تُصلي رطيبَ القسطلِ (١
لو تسأل الابطال عنها لم تطلْ ... لغةً لأنّ جواجما لا تسألِ
لبث بافئدة الرجال فراجلٌ ... لحق الفلا وسواهُ لم يترجلِ
لجبوا الخيول ومن سطاتك إنْ تصُلْ ... لُحُمٌ لهم في الحرب لم تتحولِ
لسبت تراثبهم حماةُ عوامل ... لطوال سمرك وهي ذاتُ غلسلِ
لمّا التوت كالرقم وهي عواسلٌ ... لفتت نفوسهمُ ولم تتهللِ
لك في المعارج يا كريم سلائلٍ ... لوحٌ تلقّب بالطراز الأوّلِ
لبّت دعاك الحادثاتُ ولم تقلْ ... لبّيك إلّا وهي صدرُ المحفلِ

قافية الميم

ما بال سيفك في العداة يُقسّمُ ... ما كان ملتثمًا وانك مُلحمُ
ماضٍ اذا ما صحتَ خاف فلم يقمْ ... من خوفهِ فضى جما يتكتّمُ
متوقدٌ لم يطفر بعض تضرّمٍ ... ماء الحشى من صفحتيه ولا الدمُ
مسّ الترائبَ فاحترقنَ بعظمٍ ... تمًا به فلها الدخانُ الأقتمُ (٢
ما زال قانئة يرقرق من دمٍ ... مثل النعامة(٣ رقّ منها المرزمُ
ماجت لديهِ الارض ذات تبسّمٍ ... موجًا فذا موسى وذلك القلزمُ
مضت الرجال لديهِ وهي هزائمٌ ... من كلّ باكٍ وهو أبلجُ يبسمُ
من لي بفائلةٍ تقول لبيضهم ... من ذاق طعم دم الفوارس يعلمُ (٤
مولايَ عش في عزّةٍ واسلمْ ودمْ ... متتمًا بسعادةٍ لا تُختمُ
ما ناح في فنن الغصون حمائمٌ ... ميلًا وغرّد بلبلٌ يترنمُ

١) النبار (في الاصل) .
٢) عبارة عن النبار (في الاصل) .
٣) النعامة : السحاب . . . والمرزم : . . . . (هنا كلمات طار نصفها بالمقراض) المُرزم : الاسد .
٤) عبارة عن ان سيوفهم لم تذق طعم الدم (في الاصل) .

قافية النون

مادت ظلك وحالُ السكر برحانْ	نعمْ نعمْ ان هامات الندى حانْ
نالت بها من دمِ خمراً ومن بدنِ	نفلا عليه صليلُ الوقع ألحانْ
نورٌ اذا ما أخجلت تجلى بها دُجنْ	نارٌ لها جثث الابطال قربانْ
نواهبٌ لم ترد(١ في ضبهنَّ فمن	نضالها في سبيل الحق رضوانْ
نضوضا مستطيراً بالبنان فان	نبذتها فبنانُ الكفِّ مرّانْ
نابت شأن السجايا بينهنَّ فمن	ندى يديك استفادت فاستوى الشانْ
نعم البلاغُ بلاغٌ نلتهُ حسَنٌ	نامت عليهِ الليالي وهو سهرانْ
نافستَ عصرك بالحلم النفيس فمن	فاداك لم يدعُ الّا يا سليمانْ
نطْ درَّة الحمد في جيدالكمال وكنْ	نفساً فان معالي المجد ابدانْ
نعمتَ بالاً ودم باقٍ في سننٍ	نعيمها ببقاء العمر يزدانْ

قافية الهاء

هذا الشهابُ فقُمْ نتا لقراهُ	هشت عيونٌ في الضحى نلقاهُ
هو ملحمٌ فاعجب وزهر جمالهِ	هشت جنٌّ من الدجون جباهُ
هادٍ حكى بدر الدجنَّة حولهُ	هالات سعدٍ أحدقت بعلاهُ
هلّت أشعتهُ قدام كمالهُ	هيهات نقص اهلّة ينشاهُ
هند(٢ الدراري عارضٌ طلقٌ نهُ	هربت جيوش الليل عند لقاهُ
هامت فلو نطقت وقد علقت بهِ	هتفت توحّدُ ليس إلّا اللهُ
هويت شائلة العباد ولطفهُ	هل للعبادِ تفضُّلٌ سواهُ
هزّت به ولها منًى في ذكرهِ	هلّا انت وجيهها اقواهُ
هصرت(٣ عراجين المطوب بطولهِ	هزّا وكنَّ حياذلا لولاهُ
هامت عزائمهُ فبانت عندهُ	همُ الزمان فبتنَ تحت لواهُ

قافية الواو

وحرمة بحر جودٍ منك زهوٍ	وبيض مكارمٍ تروى وتروي
ولطف شمائلٍ غرّاء تصحو	وليس بمن رآها بعض صحوِ
وسودة عزمةٍ كالنار تذكو	ولين كالمياه ذوات صفوِ

---

١) لم ترد : لم تأثم (في الاصل) .
٢) هندتهُ المرأة : اورثته عشقاً (في الاصل) .
٣) كسرت . والمرجون : العود الملتوي كأنه نصف دائرة (في الاصل) .

وشأنك ان شأنك روض زهر وشأني في صفاتك نظم شعر
وُجودك في رُبى لبنان صوبٌ وُجودك فوقها امطارُ نور
وسمتَ رباهُ بالانوار تجمو وضيءٌ كأنّما جبريلُ بشري
وُليتَ على المكارم وهي نسو ولا عجبٌ بذانك كلّ شأنِ
وبتَّ بسورة الانعام تتلو وفًا بعهود خالقك المسوّي
ورودُ الشعر في سماك تحلو وكلُّ النظم فيك أجلُّ نأوِ (١
وصلتُ بهِ الى عليك ارحو وصالَ البرّ من عذرٍ وعفوِ

قافية اللام مع الالف

لآلئُ المدح فيك يا ابن جلا لاقَ بحسنَ النظم مرتجلا
لاح لديَّ ضياها مشتملا لان غدا العقلُ فيهِ مشتملا
لا بدع ان اورثت بنا غللا لأنها أحدثت لنا عضلا
لازمتها فانثنت تقولُ ألا لا حول بالله قلتُ ولا
لأنت يا ابن الكرام بدرُ علا لامعُ نورٍ يُجاورُ الحملا
لاقيت جنح الخطوب مفتعلا لاشيتهُ فانجلى وولّى خجلا
لألأت يا بدرُ في سما ملإٍ لاحظتهم بالضياء مكتملا
لانَ لديك الزمانُ ممتثلا لأيّ امرٍ ندبتهُ فعلا
لاذ بك المستجيرُ مبتهلا لاجيرٍ ، فعادت نبالهُ أُفلا
لا زلتَ بالطيّباتِ مشتملا لا عطفَ في فعلها ولا بدلا

قافية الياء

يُسمي يُسمّي ، الوحى ، يا مطيّ يمّ جودٍ عبابهُ (٢ عجدي
يا حوادي ان كنتِ انتِ الصوادي برزق الوردُ وردهُ الكوثري
يا لقومي من سيّدٍ اريحيّ (٣ يدهُ بالسماح بحرٌ طمي
يافعٌ نافعٌ نفيٌّ نفيٌّ يقيُّ (٤ الوجه كوكبٌ درّيّ
يامرٌ سيفهُ يبين المعالي يلبُّ (٥ دون ذاعا يثري

١) الشعر السالم من العيوب (في الاصل) .
٢) العباب : معظم الماء (في الاصل) .
٣) اريحيّ : واسع الصدر (في الاصل) .
٤) يقي : ابيض (في الاصل) .
٥) يلبّ : الدرع (في الاصل) .

يوسفيُّ حماسةً حاتميٌّ يوم جودٍ وعدلهُ كسرويْ
يَقِظٌ بات في اهاب الليالي يرقب النجم فكره اللوذعيْ
يتّبع الدهرُ امرهُ كالعراقي يتتابعنَ حيث حلّ الرويْ
يتهادى فلو رأتهُ الدراري يتحلى قالت لأنت الوصيْ
يا فتى المكرماتِ لا زلتَ تحني يانعَ الحمدِ والزمانُ صبيْ

ولهُ فيهِ بيتان قد ضمّن كلًّا منهما اربعة تواريخ

أميرٌ أعام الفضل في ما مذانهِ من الفضل حرٌّ اسمهُ الفضلُ في الملا
لهُ دُرُّ نظمي قد اتاهُ قريحتي أغرٌّ حكى نظم القلائد بالطلا (١

(للمقال صلة)

١) الاعناق (في الاصل) .

كتاب

الدرّ المرصوف في تاريخ الشوف (تابع)

تأليف القس حنانيا المنير من الرهبانية الشويرية

مهّد له وعلّق حواشيه ونشره

الاب اغناطيوس سركيس
من الرهبانية الشويرية

بسم الله الحي الازلي

الحمد لله الواحد القهار المنزه عن البداية والنهاية والاغيار المحتجب عن ذوي البصائر والابصار والمتعالي على اعلى العقول والافكار المانح الاحكام للحكام ذوي السلطة والاقتدار والكابح اخلاق القوم العتاة الفجار الذي جعلنا بواسطة التواريخ والاخبار نعرف ما حدث في جميع الممالك والاقطار حتى اذا سمعنا ما صدر من الرجال الاخيار من العدل والشهامة وحفظ الذمم والاسرار وما فرط من الاراذل الاشرار من المظالم وارتكاب الاوزار نقتفي من الصالحين تلك الآثار ونجتنب طرق المارقين الموصلة الى سوء الدار.

اما بعد فيقول الفقير الى عفوه تعالى الراهب حنانيا المنير احد رهبان دير الشوير انه اذ كان النسيان مستحوذاً على كل انسان وكانت الحاجة تدعو في اكثر الاحيان الى معرفة ما حدث في سالف الزمان وقد ثبت ان ما لا يكون مسطوراً لا يثبت في الاذهان تصديت لانشاء هذا التاريخ القريب العهد باذلاً في احتماله كل الجد والجهد. وقد اقتصرت فيه على حوادث بلاد الشوف ونواحيها. واضفت اليها ما حدث في غيرها مما انتهى الى حدوثه فيها فاحصاً فحصاً حثيثاً عن حقائق الامور قبل تسليمها الى السطور. وقد شرعت في هذا العمل ولا ادري متى يحل الاجل. فاريد ممن يقف على كتابي هذا ان يصلح ما فيه من الخلل. والذي يكمله بعدي فله الثواب الاكمل. واسأل الله تعالى حسن العناية في اتمام هذه الغاية لان زمن الموت مجهول، كما انظم فاقول:

الموت ثم فناء فيما مضى حكم من الباري على كل الورى
هل يعلم الانسان يوم وقوعه ام كيف ام اين الوقيعة يا ترى
لو كنت اصغره سنت قدومه لكنه نص خفي لا يرى
طوى لذي للموت كان مذيده وكذاك من كل الورى الفى ورا
بين الامانة والخيانة يا فتى بون كما بين الثريا والثرى
ولكل ساع عند ربك ما سعى ولكل قلب ما نواه واضمرا
وانا الذي اصرفت عمري غافلا فررت منيها كاني في الكرى
يا رب كن لي صافحاً عما طفت قدمي وكن لي غافرًا ما قد جرى
وادوم من اهل البصيرة من رأى هذا الكتاب وكل من فيه قرا
كرمًا بغض الطرف عن غلطاته فالجود خلق لا يباع ويشترى
يا ناظرًا كل الزمان وعالمًا بالكائنات وانت في اعلى الذرى
امنن بتوفيق لما ترضى به يا خالقًا ما لا تراه وما ترى

تنبيه [1]

اعلم وفقك الله انني قد عثرت على بعض حوادث تقدم وقوعها في هذه البلاد . منها ما سمعته من شيوخ ثقاة قد حدثت في عهدهم : ومنها رأيته مسطورًا من اقوام مشهود لهم بصدق الرواية . فرأيت ان اذكر بعضها لتكون مقدمة لما بعدها . وهي منذ انقراض دولة بني معن واقامة بني شهاب . فاقول .

حكم الامير بشير الاول ١١٠٩ — ١١١٧ (١٦٩٧–١٧٠٥) [2]

انه قد كان اول من تولى حكم جبل الشوف وجلس على كرسي دير القمر هو الامير بشير الشهابي وكان ذلك سنة ١١٠٩ من الهجرة (١٦٩٧) . لانه في تلك السنة كان قد توفي الامير احمد معن ولم يكن له ولد ذكر فاجتمعت بعد وفاته مشايخ البلاد من السبع مقاطعات . وهي الشوف والمرقوب والجرد والشحار والغرب والمتن وكسروان . لانه كان حاكمًا في البلاد واجمع رأيهم على تسليم الحكم للامير بشير الموما اليه له وارسلوا فاعرضوا رأيهم على وزير

١) العنوان هنا وحده من وضع المؤلف . اما العناوين الآتية بعده فجميعها من وضع الناشر .

٢) السنوات واردة في الاصل بالتاريخ الهجري . الا اننا وضعنا الى جانبها ما يقابلها من التاريخ المسيحي .

صيدا . فارتضى به تحت دفع دراهم كانت مكسورة عند الامير احمد معن المتوفى. وتسلم الامير بشير زمام الحكم وعدل في حكمه وخضع له اهل البلاد جميعهم الا اليمنية. لان البلاد كانت حزبين في تلك الايام: بني قيس وبني يمن[1] كما هي الآن يزبكية وجنبلاطية . ورفع اليمنيون دعواهم للباب العالي انهم لا يرضون الامير بشير حاكماً عليهم . فقبلت الدولة سؤالهم وحضر امر من السلطان ان يكون الامير حيدر ابن الامير موسى الشهابي حاكماً في البلاد ويكون الامير بشير مؤازراً له في تدبيره لانه كان قاصراً ابن اثنتي عشرة سنة . وكانت امه بنت الامير احمد معن. ولما وصل الامر السلطاني الى صيدا واطلع عليه الوزير عرض للدولة بان الامير حيدر صغير السن لا يصلح للولاية. وان العدة من اهل البلاد لا يقبلون ولايته . فرجع الجواب بتقرير الامير بشير على الحكم وتولى على كل ما كان في يد بني معن وكان ذلك سنة ١١١٠ (١٦٩٨) .

وفي هذه السنة تولى على ايالة طرابلس رسلان باشا . وتولى على ايالة صيدا اخوه قبلان باشا[2] . فحدث في هذا العهد ان حاكم بلاد بشارة عصا على قبلان باشا وعمد على مقاومته فاستنجد قبلان باشا بالامير بشير وطلب اسعافه . فاتاه بثمانية الاف رجل . وكبس ذلك العاصي وقبض عليه وسلمه الى قبلان باشا فازداد عنده قبولاً . وساطه على ايالة صيدا ، من بلاد صفد الى جسر المعاملتين في كسروان وشاع ذكره وعظم شأنه حتى عند الدولة العلية .

وفي هذه السنة كان حكم بلاد جبيل في ايدي المشايخ بني حماده. وكانوا يلبسون خلعة الحكم من يد وزير طرابلس . فحدث منهم مطاولة على حقوق رسلان باشا فغضب عليهم ونزع الولاية منهم . فتوسط امرهم الامير بشير واسترضاه واعادهم الى الولاية .

حكم الامير حيدر ١١١٧ – ١١٦٣ (١٧٠٥ – ١٧٣٠)

وفي سنة ١١١٧ (١٧٠٥) توفي الامير بشير في بلاد صفد . ودفن في مدينة صيدا ، في مدفن بني معن . وكان قد اقام في الحكم سبع سنوات .

١) سيرى القارئ ان هذه العصبية التي استفحل امرها في القرن السابع عشر قد اضمحلت في لبنان في اوائل القرن التالي .

٢) سيجيء في آخر الكتاب معجم باسماء الاعلام .

وكان عادلاً شجاعاً كريماً ذا هيبة ووقار ، اصهب طويل القامة حسن الصورة وقيل : كان سبب وفاته انه خرج في جباية الاموال السلطانية الى نواحي صفد. وبينما هو في الطريق ، التقاه بعض الامراء بني عمه من حاصبيا وسألوه ان يضيفهم. وكان بالقرب من مكانهم . فاجاب وانعطف معهم الى منزلهم . فاحتفلوا به وقدموا اليه في اطعمتهم شيئاً من الحلوى بعضه ابيض وبعضه احمر . وكان الاحمر مسموماً . فكانوا لا يأكلون منه . واكل منه الامير بشير . فدبّ السمّ في اعضائه ، وكان ذلك السم لطيفاً فلم يظهر له اثر حتى انصرف الى طريقه . فكان يعتلّ يوماً فيوماً حتى مات . وكان ذلك حسداً منهم وطمعاً في اتخاذ الولاية بعده. ولما توفي الامير بشير ، اجتمعت مناصب البلاد واكابرها. وتداولوا في من يقلدونه الولاية فاتفق رأيهم على الامير حيدر الذي مرّ ذكره . وكان قد تزوج ورزق ولدين احدهما يقال له الامير ملحم والاخر الامير احمد . فاحضروه من حاصبيا بالعز والاكرام . وسلموه امرهم واقام في دير القمر . وقبلت الناس ولايته وطاعت اوامره . الا حكام بلاد المتاولة . فعصوا ورفضوا اوامره وتصلبوا لمقاومته . وكان حينئذٍ حكم بلاد المتاولة في يد المشايخ بني علي الصغير من يد بشير باشا والي صيدا . وحكم عكا وبلاد صفد في يد المشايخ اولاد بني زيدان . وحكم بلاد الدروز والسبع مقاطعات في يد الامير حيدر الشهابي . وكان الامير حيدر ، لما تحقق عصاوة المتاولة عليه جمع رجاله وتوجه لقتالهم . واما هم فقد اجتمعوا الى قرية النباطية وعولوا على قتاله فكبس القرية المذكورة والقى فيهم السيف . فقاتلوه . وكانت النصرة له . فهتك بهم ودخل القرية عليهم وقتل منهم مقتلة عظيمة ورجع الى بلاده ظافراً . وكان ذلك سنة ١١٣٠ (١٠٧٨) .

وهذا كله كان بغير اذن بشير باشا ولا علمه . فانكر ذلك على الامير حيدر وغضب عليه. وكان باقياً من اليمنية بعض رجال من الامراء بني علم الدين في الجرد والغرب . فانفذ اليهم بشير باشا وطيب قلوبهم وانهضهم ضد الامير حيدر وامرهم ان يطردوه من البلاد ويتسلموا الحكم مكانه . ووعدهم بان يؤازرهم على ذلك . واشتهر هذا الامر . وتظاهر بنو علم الدين . وتكاثر حزب اليمنية ونهض لاسعافهم الامير يوسف رسلان . وكان حاكم الغربين الاعلى

والادنى . وكان مقامه في قرية الشويفات . وانحاز الى عرض اليمنية كثير من القيسية . منهم الشيخ محمود من بني هرموش . وكان عمدة في البلاد . ونهضوا جميعهم للقتال . وضعف عرض الامير حيدر ، فخشي ، وانكسرت نفسه ، وارسل عياله الى حيث يأتمن عليهم في كسروان . واقاموا هناك تحت الخفاء في قرية صغيرة . وكابدوا الذل الشديد . واما الامير حيدر فانطلق الى الهرمل مقاطعة الامراء بني الحرفوش واختفى هناك في بعض الكهوف حيث تأوي الوحوش وكان المشايخ بني الخازن يرسلون اليه الذخائر الى هناك سرًا . وتسلم زمام الحكم الامير يوسف علم الدين واخوه الامير منصور ، من يد بشير باشا والي صيدا . وكان المدبر في دولتهما الشيخ محمود هرموش . فجاروا على الرعايا لا سيما بني قيس . واقاموا على ذلك سنتين الا قليلًا . فقامت الحركة في البلاد واتفقت القيسية على اعادة الامير حيدر الى الولاية . وراسلوه عن يد المشايخ بني الخازن . واستدعوه ان يوافيهم الى المتن . فاجابهم وحضر الى دار المقدم حسين ابي اللمع . وبلغت الاعلام كل بني قيس . فتبادروا اليه وكان عمدتهم الشيخ قبلان القاضي من جباع الشوف . والشيخ سيد احمد ابو عذرا من البارودك في العرقوب . وعلي ابو نكد من المتاصف . ومحمد تلحوق من الغرب . والشيخ غازن من بني الخازن من كسروان . والمقدم مراد ابن المقدم محمد ابي اللمع من المتن . وتكاثرت القيسية عنده . واجتمعوا في رأس المتن . وبلغ ذلك امراء اليمنية . فانفذوا اخبروا بشير باشا والي صيدا فحضر حالًا بعسكره الى حرش صنوبر بيروت وانفذوا فاستغاثوا بنصوح باشا والي الشام . ووعدوه بايراد دراهم نفقة عسكر . فقبل سؤالهم واقبل مسرعا بعسكره الى قب الياس في البقاع . وتجمعت رجال اليمنية من الشوف والغرب والجرد وحضروا جميعهم الى قرية عين دارة بالغرب من طرق المتن الاعلى . وصار الاتفاق ان يرتفع بشير باشا من حرش بيروت الى قرية بيت مري في طرف المتن الادنى ونصوح باشا الى المفيشة في اعالي المتن ورجال اليمنية الى حمانا في باطن المتن . وان الثلاثة عساكر تمشي في وقت واحد معهود بينهم بحيث تصل معا وتكبس القيسية والامير حيدر في رأس المتن . وبلغ الامير حيدر هذا الاتفاق . جمع بني قيس الذين عنده . وتداولوا فيما يكون . فاتفقوا ان يكبسوا اليمنية

ليلا في عين دارة . وكان كذلك .

وفي تلك الليلة ركب الامير حيدر ببني قيس وتوجهوا الى عين داره . وكانت ليلة الجمعة من ثامن عشر محرم ١١٢٣ (١٧١١). فانقسموا ثلاث فرق وهجموا على القرية حتى وصلوا اليها . فصاحوا واطلقوا البارود . فثارت اليمنية وانتشبت الحرب . وحملت بعض الرجال القيسية فملكت جانباً من القرية واهوت عليها البقية فدخلوا. واتصلت القيسية باليمنية. فتركوا البارود وامتشقوا السيوف والانجاق . واراد الله ان يظفر القيسية فاستظهروا عليهم . وقتل في تلك الليلة خمسة امراء من بني علم الدين وخلق كثير من اليمنية. وهرب الذين سلموا فلم يوجد منهم احد . قيل : وكان قاتل هؤلاء الخمسة الامراء المقدم حسين ابي اللمع .

وبعد انصراف الوقيعة دخل عليه رجل فلقبه بالمقدم على عادته . فغضب وقال : اقتل خمسة امراء ويقال لي مقدم ؟ ! وقام اليه بالسيف فقتله . يريد ان يلقب بالامير . لان المقدم طبقة بين الامير والشيخ .

وقبض الامير حيدر على الشيخ محمود هرموش . واراد ان يقتله . فمنعه المشايخ عن ذلك خوفاً من سلوك هذه العادة في قتل المشايخ لانهم لم تكن لهم عادة في القتل ولا في الحبس ايضاً . فاذا اذنب احدهم كان قصاصه الطرد او سلب المال او اتلاف ماله من اغراض وابنية ونحو ذلك . ولما لم توافقه المشايخ على قتله قطع لسانه وابهام يديه واطلقه . وكان اذ بلغ الوزيرين ما كان انصرف كل منهما بعسكره خوفاً من وصول الطائلة اليه . وتوجه الامير حيدر الى دير القمر وفي ركابه موكب القيسية . ومن ذلك العهد تأيدت القيسية في البلاد وتبددت اليمنية منها . فضبط الامير حيدر املاكهم وديارهم واموالهم . وانعم على من كان في نصرته من اكابر البلاد . واعطى المقدم حسين ابا اللمع قاطع بيت شباب وبكفيا . وتزوج بابنته سعود . واعطى المقدم مراد ابا اللمع نصف حكم المتن وبشكنتا . وتزوج بامه لان اباه كان قد توفي. واطلق على بني ابي اللمع لقب الامارة . واعطى الشيخ قبلان القاضي اقليم جزين . واعطى الشيخ علي ابا نكد الناعمة وما يليها . واعطى محمد تلحوق الغرب الاعلى واطلق عليه لقب شيخ . وقام ضد الامير يوسف رسلان . لان

الامير يوسف كان حاكم القريتين . فلما تظاهر بالغرض للسنية نزع منه القرب الاعلى وسلمه لمحمد تلحوق . وجعل يكتب لهؤلاء المذكورين : الاخ العزيز .

وحكم . وعدل في حكمه ومالت اليه الناس . وعظم شأنه عند الجميع . وبعد مدة طويلة نهض ضده بعض مشايخ البلاد . واراد وا ان يخلعوه وينصبوا مكانه الامير احمد ابن الامير منصور الشهابي من راشيا . فاستنجدوا لاقام مطلوبهم بالامير سيد احمد حاكم حاصبيا . ولما علم الامير حيدر بذلك استدعى اليه الامير احمد . ونوه له انه يريد ان يعطيه ابنته ويستوزره في اموره . فركب الامير احمد وحضر الى دير القمر . فالتقاه الامير حيدر احسن ملتقى وكان له سريرة عند الامير نجم الشهابي في حاصبيا . فكتب له انه يريد ان يقتل الامير احمد وانه متى بلغه العلم بقتله ينهض على الامير سيد احمد فيقتله ويتولى مكانه بمناضدته . ثم ان الامير حيدر امر اولاده بقتل الامير احمد . فنهضوا عليه ليلاً وهو نائم فقتلوه . وارسل حالاً يخبر الامير نجم بذلك ليقتل الامير سيد احمد فسبق الرسول عبد كان مع الامير احمد وكان لما قتل مولاه انهزم ومضى الى حاصبيا . فاخبر الامير سيد احمد . ولما علم الامير سيد احمد بذلك . خاف على نفسه . وانهزم ايضاً الى نواحي دمشق .

واقام الامير حيدر في الحكم ستة وعشرين عاماً الى ان توفي . وكان عادلاً شجاعاً كريماً سديد الرأي اسمر اللون حسن الصورة . وكان قد تزوج بسبع نساء . منهن اثنتان من بنات عمه من حاصبيا . واثنتان من بني ابي اللمع من المتن كما ذكرنا . وثلاث سراري . ورزق تسعة اولاد ذكور وهم الامير ملحم والامير احمد من ام واحدة . والامير منصور . والامير يونس . والامير علي والامير حسن من ام اخرى وكلتاهما من بنات عمه كما مر . والامير عمر من والدة المقدم مراد ابي اللمع . والامير بشير من ابنة المقدم حسين . وكانت وفاة الامير حيدر سنة ١١٤٣ (١٧٣٠) واقاموا له مناحة عظيمة اربعين يوماً . ولبست النساء اثواب الحداد في جميع البلاد . وحدث في ايام ولايته حوادث كثيرة عدلنا عن ذكرها طلباً للاختصار .

حكم الامير ملحم ١١٦٣ – ١١٦٧ (١٧٥٠ – ١٧٥٣)

وبعد وفاة الامير حيدر تولى مكانه ولده الامير ملحم . وكان عادلاً في حكمه لكنه كان صارماً جداً فلا تأخذه رأفة في القصاص . ولا يقبل شفاعة شافع . فهابته الناس ولزم كل انسان حده . والقى الفتنة بين مشايخ البلاد وحكامها . فكان ذلك سبباً لتأييده وثبات حكمه . وكان الوالي يومئذٍ في صيدا اسعد باشا العظم . وكان مبغضاً للامير ملحم ويرغب ان ينزع الحكم من يده . ولكن لم يتيسر له ذلك فاقام اربع سنين في صيدا . ثم جبرت له ولاية دمشق الشام . وتولى مكانه اخوه سعد الدين باشا . وكان يكره اخاه اسعد ويحب الامير ملحم حباً شديداً . وبعد ذلك بايام اراد اسعد باشا ان يزعج خاطر الامير ملحم فادعى عليه دعاوى باطلة وجهز عسكراً وحضر به الى نواحي البقاع لمحاورة الامير ملحم . ولما بلغ الامير ذلك جمع عسكراً من البلاد وركب يطلب اسعد باشا حتى وقع عليه بتلك الرجال التي معه . فلم يجد له طاقة على قتال الامير ملحم فانهزم . وساق الامير في اثره الى قرب دمشق . ثم انعطف في رجوعه الى البقاع فاحرق ونهب اكثر قراها . وشاع خبر جبروته . وهابته الدولة وعظم شأنه عند الشعوب المجاورين له وكان ذلك سنة ١١٥٤ (١٧٤١) وهي السنة الثانية عشرة من حكمه .

وفي سنة ١١٥٦ (١٧٤٣) عصت المتاولة على سعد الدين باشا . وابوا ان يدفعوا له المال السلطاني ، واستهانوا به . فارسل يخبر الامير ملحم بذلك . وطلب منه الاسعاف . فجمع عسكراً عظيماً من رجال البلاد وتوجه لقتال المتاولة . وكانوا لما بلغهم قيام الامير ملحم خافوا وارادوا ان يتلافوا امرهم . فنزلت مشايخهم الى صيدا وتراموا على الوزير واعتذروا اليه واقروا له بايراد الاموال المرتبة عليهم فرضي عنهم وعرف الامير ملحم بذلك وامره بالرجوع عنهم . وكان الامير قد وصل الى الاولي قرب صيدا . فلم يحفل بقول الوزير . واخذ في طريقه اليهم لانهم اتفقوا مع الوزير عن غير يده ولا علمه . وما زال حتى وصل الى قرية نصار . ولما تحققت المتاولة وصول الامير ملحم الى بلادهم واصراره على قتالهم لم يكن لهم بد من التأهب . فاستعدوا للقتال وجمعوا

رجالهم . ثم انتشب القتال بينهم . فكانت موقعة عظيمة الى حين من الزمان . فانكسرت المتاولة وفر من وجد سبيلاً للفرار . وكان كثير منهم قد تحصنوا في القرية فدخل عليهم الامير ملحم برجاله واعمل السيف فيهم حتى اتى على آخرهم فقتل منهم في ذلك اليوم الف وستمئة وستة انفار . واستلم الامير ملحم وقومه امرالهم وخيلهم وسلاحهم واحرق بلادهم واستأسر منهم اربعة مشايخ من اكابرهم وعاد منهم ظافراً غانماً . فجعل طريقه على صيدا وطلب من الوزير نفقة عسكر . فارسل اليه وبعث الامير ملحم الى الوزير بالاسرى الذين معهم وحضر الى دير القمر . ووقعت له هيبة في قلب الوزير واهل البلاد .

وفي سنة ١١٥٨ (١٧٤٥) وهي السنة الخامسة عشرة من حكمه ، انجد له ولد سماه الامير يوسف .

وفي سنة ١١٦٣ (١٧٤٩) وهي سنة العشرين من ولايته . عضب على الشدياق بطرس العشقوتي وكان مديراً في دولته . وذلك لان الشدياق بطرس كان قد داخله العجب والطمع فتطاول على بعض ارزاق تخص الامير ملحم بعير اذنه . فامر بحبسه وضبط جميع املاكه . فعظم عليه جداً وهانت عنده الحياة ثم قطع خصيتيه بيده ومات . فاغتاظ الامير ملحم لموته وتأسف عليه وندم على ما فعل لانه كان نافعاً له في حسن تدبيره .

وفي هذه السنة كان سليمان باشا العظم والياً في دمشق الشام . فغضب على الانكشارية ونفاهم من البلاد . فحضر ضابط زمامهم احمد آغا القلطقجي وبعض آغوات من اتباعه الى حماية بني يزبك . وكان يغزون في اثنا ذلك الى اطراف دمشق فينهبون ويقطعون الطرق . فكتب سليمان باشا الى الامير ملحم ان يطردهم من بلاده . ولما عزم الامير ملحم على طردهم منعه الشيخ شاهين تلحوق والمشايخ بني عبد الملك . فارسل الامير واحرق ديار بني تلحوق في الغرب وبني عبد الملك في الجرد . وقام الشيخ شاهين واحمد آغا الى نواحي البقاع حتى دخلت جماعة واسطة في الصلح فسالموا بين سليمان باشا والانكشارية ورجع احمد آغا وجماعته الى دمشق . ورجع الشيخ شاهين الى البلاد . وعوض عليه الامير ملحم مما كان اتلفه : وصفا خاطره عليه .

وفي سنة ١١٦٦ (١٧٥٢) اتفق ان رجلاً من دير القمر تخاصم مع رجل

من خدم المشايخ النكدية فقتل خادم المشايخ . فقبض الامير ملحم على القاتل وحبسه لانه لم يكن قتل متعمداً . وكان الامير ملحم يريد ان يطلقه بعد تأديبه . فهجم بعض المشايخ المذكورين على السجن ليقتلوا المسجون بغير ارادة الامير . فمنعهم . وصار هياج بالشعب عظيم في دير القمر حتى اضطر الامير ان يأمر بقتله رغماً عنه فقتل . واثّر ذلك في قلب الامير ملحم وعول على نكبتهم. فالقى الفتنة بين الشيخ خطار والشيخ كليب نكد وجدت العداوة بينهما حتى نهض بعضهما على بعض . فاقصاهما الامير من البلاد الى حاصبيا واحرق منازلهما في الدير وهدمها الى الارض . ثم توسط امرهم الامير اسماعيل حاكم حاصبيا واصلح بينهم . فرجعا الى البلاد واقاما في المناصف الى ان توفي الشيخ خطار وصفا خاطر الامير ملحم على الشيخ كليب فرجع الى الدير وعمر وسكن .

وفي هذه السنة . بعد رجوع الامير ملحم وانتصاره على المتاولة كان في عكا الشيخ ظاهر العمر من بني ابي زيدان اصحاب بلاد صفد المتقدم ذكرهم. كان الامير بشير قد ولاه تلك البلاد وكانت في ايدي آبائه من عهد بني معن حتى اراد الله فتولى الشيخ ظاهر مدينة عكا واقطاعها نائباً تحت يد وزير صيدا . فلما رأى الشيخ ظاهر ظفر الامير ملحم بالمتاولة وسطوته عليهم غير مبالٍ بامر الوزير خاف ان يسطو على بلاده ايضاً . وكان لعكا سور قديم قد تهدم كثير منه فاصلحه الشيخ ظاهر . وجدد ما كان قد دثر منه وتأهب في كلما يحتاجه من التحصين والمهمات . وقال بعض شعراء العصر مؤرخاً تجديد ذلك السور :

سور منيع عاصم عكا . فما ... تنثال . اذ قد عاد منه الدائر
من ظاهر العمر الذي اشتهرت له ... بين البرية انعم ومآثر
. تمت محاسنه فيرنو ناظر ... في حسن بنياه ويخسأ ناظر
لما بناه الشيخ ظاهر عنوة ... اعناه تاريخي بناه الظاهر

وفي سنة ١١٦٧ (١٧٥٣) دخلت شوكة من لوح صبير في يد الامير ملحم فآلمته جداً . ولكنه لم يكترث بها . فاستحم واستعمل الطيب فورمت يده وعظم الامر حتى عجزت الجراحون والاطباء عنه ونحل جسمه جراء ذلك

واشتغل بدواواة نفسه . فطمت فيه مشايخ البلاد . واتفقوا عليه بواسطة اخوته . فاضطر ان يتنازل عن الحكم .

وفي هذه السنة حضر الشيخ عثمان ابن الشيخ ظاهر العمر الى دير القمر نازلاً عند الامير ملحم لانه كان قد اعتاظ من ابيه فحضر عضباناً فتوسط الامير ملحم امره مع ابيه ورجع الى عكا واصطلح مع ابيه .

وفي هذه السنة قتل الامير اسماعيل ابو اللمع ابن عمه الامير اسعد . فركب الامير منصور وقاصرهم وضبط ارزاقهم . ثم رضي عنهم واخذ منهم عشرين الف قرش .

حكم الاميرين احمد ومنصور ١١٦٩–١١٧٧ (١٧٥٥–١٧٦٣)

وفي سنة ١١٦٩ (١٧٥٥) تسلم حكم جبل الشوف الامير احمد اخو الامير ملحم واخوه الامير منصور . واقاما في دير القمر . ونزل الامير ملحم الى بيروت وصرف اتباعه وابقى عنده اربعة انفار من المسلمين لخدمته . واتخذ كتبياً في العبادات الاسلامية ومشايخ يراجعهم في امر الدين وتورع في الديانة الاسلامية.

وفي هذه السنة كان نائباً عن دمشق الشام عبد الله باشا الشبتجي . وكان عداوة في دمشق بين وجاق الانكجارية والقبيقول . فارسلته الدولة بعسكر ثلاثة عشر الف نفر لاجل قطع هذه الخصومة . فاجتمعت عند قدومه اهل المدينة الى الميدان ليمنعوه عن الدخول . فكبسهم ليلاً وقتل منهم خلقاً كثيراً. ودخل الى البلد رغماً. فهابته النفوس وسكنت تلك البلابل التي كانت بينهم وقيل انه كان يتنكر كل ليلة ويطوف في شوارع المدينة وكل من وجده في الليل يقتله . فعظم امره عند الدولة . وكان في اصله مملوكاً كرجياً . ولذلك كان يحب النصارى كثيراً . وكان يحب الامير ملحم محبة عظيمة . وكان يقول ليس في الدنيا ماوذ الا عبدالله باشا الشبتجي والامير ملحم الشهابي والشيخ ظاهر العمر . ثم انعزل عبدالله باشا عن دمشق الشام . وتولى مكانه حسن باشا .

وفي هذه السنة انقضت صاعقة على قلعة بيروت فهدمت جانباً منها . فامر الامير ملحم ببناء ما هدم منها .

حكم الامير منصور ١١٧٧-١١٨٤ (١٧٦٣-١٧٧٠)

وفي سنة ١١٧٠ (١٧٥٦) وقع الاختلاف بين الامير احمد والامير منصور وابن اخيهما الامير قاسم ابن الامير عمر فتوجه الامير قاسم من البلاد الى نواحي البقاع . وقطع الطرق السالكة الى البلاد. فارسل الامير احمد والامير منصور واسترضياه واعطياه قرية غزير . وتزوج بابنة الامير منصور وسكن في غزير .

وفي هذه السنة كان غلاء عظيم في بلاد الشمال حتى كان رطل الخبز يباع بنصف قرش . ودام الغلاء سنة كاملة . وقيل انهم في بلاد الرها ونواحي بغداد كانوا يأكلون لحوم الخيل والبغال والحمير .

وفي هذه السنة ، نهبت العرب الحج عند قلعة القطرانة . فدخل الباشا القلعة وحاصر بها . فحاصروه اياماً . واخذوا المحمل . وقيل ان ام السلطان عثمان كانت في الحج فماتت رعباً. ولم يسلم من الحج غير القليل . وكان للباشا صديق من امراء العرب . فاخرجه من القلعة ليلاً وهرب الى غزه.. وقيل ان العرب كانوا يطبخون اللؤلؤ ويظنون انه ارز .

وفي سنة ١١٧١ (١٧٥٧) ، ثارت الحرب بين انكشارية دمشق والقبيقول وصار بينهم وقائع كثيرة . وكانت الناس من اهالي جبل الشوف في تلك الاطراف . فكانوا يسعفون الانكشارية وينصرونهم على القبيقول . وقتل من الفريقين نحو اربعين نفراً وحاصرت القبيقول في القلعة . وجرى بينهم وبين الانكشارية اربع وقائع . والانكشارية تنتصر عليهم باسعاف الدروز . وبعد رجوع عبدالله باشا الشتجي الى دمشق امر عسكره ان يكون مسعفاً للقبيقول. وطلب من الانكشارية عشرة آلاف قرش وكان رئيس الانكشارية محمد آغا ابن والي فامتنع عن ذلك ورد رسول الباشا . فغضب وامر العسكر ان يكبس منازل الانكشارية فوقع بينهم القتال وانكسر عسكر الوزير وقتل منه عشرون نفراً . وخرجت الانكشارية من البلد نحو الف خيال . ووقع القتال بين اهل المدينة والوزير . فقتل من اهل المدينة نحو مئة قتيل . ثم نادى عبدالله باشا بالامان . وكف عسكره عن القتال .

وكان في هذه السنة غلاء فاحش حتى بلغ ثمن كيل الحنطة ستة قروش .

ثم نادى الباشا في دمشق على خزنة الحنطة ان يبيعوا الكيل بقرشين ونصف. فكان كذلك.

وفي سنة ١١٧٢ (١٧٥٨) توفي السلطان عثمان ابن السلطان مصطفى. وقيل انه مات بالسم. وكانت مدة ولايته ثلاث سنين وثمانية اشهر. وخلفه السلطان مصطفى ابن السلطان احمد.

وفي هذه السنة ظهرت في البحر مراكب قرصان. واستوسقوا على سفينة لاهل بيروت فهاجت الاسلام في بيروت. وقاموا على الافرنج الذين في البلد وهجموا على دير البادرية. وقبضوا على الرهبان. واتلفوا ما في الكنيسة مما يتلف ونهبوا ما ينهب. فغضب الامير ملحم من ذلك. وقبض على الذين اثاروا تلك الحركة من اسلام بيروت. وشنق منهم اثنين. واستخلص للبادرية ما كانوا نهبوه من الدير.

وفي هذه السنة كان الامير احمد والامير منصور بعد توليها حكم البلاد قد قل احتفالها باخيها الامير ملحم ولم يعد له عندهما مقدار. فشق عليه ذلك. ولم يجد له سبيلاً الى منازعتها الولاية. وكان في ايام ولايته قد تولى ايالة صيدا مصطفى باشا القواص. فدعاه الامير ملحم الى دير القمر فحضر. واخذه الى نبع الباروك. وقدم له الخيل والسلاح. وبالغ في اكرامه وصار بينهما محبة عظيمة. ثم انعزل مصطفى باشا ورجع الى القسطنطينية. وسار له منزلة في الباب العالي. وقد ذكرنا ما كان بين الامير احمد والامير منصور. وبين الامير قاسم ابن الامير عمر. وكانت لم تزل بينهم جفوة مما مر. ولما رأى الامير ملحم استخفافها به دعا اليه الامير قاسم وكتب معه الى مصطفى باشا القواص ان يسعى له في اخراج الولاية باسمه من الباب العالي. وارسله الى هناك. فرحب به مصطفى باشا واكرمه وانزله احسن منزل وسعى في حاجته فلم يرُدّ وحصل الوعد بقضائها. واتفق في تلك الايام انه قبل اتمامها. توفي السلطان عثمان وقام مقامه السلطان مصطفى. وكان يكره مصطفى باشا القواص. فنفاه من القسطنطينية.

حكى الامير قاسم نال. كنت ذات ليلة عند مصطفى باشا القواص في القسطنطينية. واذ قد دخل عليه رجلان بايديهما مصابيح ودفعا اليه صحيفة

صغيرة . فقرأها ونبض من فوره وسار معها وقال لنا امكثوا هنا الى ان اعود . فبقيت انا ونائبه ساهرين نتحدث في ذلك ولا نعلم السبب . وما برحنا الى ان رجع مصطفى باشا بعد نصف الليل ومعه الرجلان عصابيحهما . فنهضنا عند دخوله حتى جلس وامرنا بالجلوس فجلسنا ولم نجسر ان نسأله عن شيء . فقال هل علمتم لماذا دعينا ؟ قلنا لا . قال قد انتقل الى عفو الله تعالى مولانا السلطان عثمان . فذهبنا صلينا عليه ودفناه واقمنا مكانه السلطان مصطفى الثالث الاسم ابن المرحوم السلطان احمد الثاني وباركنا له بالملك ورجعنا . وغداً تصير الزينة في المدينة ويخرج السلطان الجديد الى الجامع . ثم قال لنائبه : استأجر لك مكاناً يكشف على الطريق ليتفرج الامير قاسم على خروج السلطان . فارسل واستأجر داراً ذات مشارف على الطريق . وعند الصباح ذهبنا وجلسنا هناك . ثم اخذت الارط تتوارد كل ارطة بزيها وملبوسها وهو ينبئني باسمائها الى ان وردت الاثنتان والسبعون ارطة ثم اقبلت رجال الدولة بالجواهر والحجارة الكريمة ونورها يدهش البصر . واقبل السلطان مصطفى بكرك اخضر وقاووق اخضر . وقد غطته مراوح مزخرفة من ريش النعام . وهو شاب اشقر اللحية متقلد بسيف مذهب مرصع بالجواهر النفيسة . وفي يده مصحف كذلك . ومر في طريقه الى الجامع . فصلى ورجع من هناك الى داره في البحر . ورجعت المراكب على ترتيبها .

وفي سنة ١١٧٣(١٧٥٩) . توفي الامير ملحم في مدينة بيروت . وحزنت عليه عائلته حزناً عظيماً لانه كان بمنزلة اب لهم . وقد اعطاهم كثيراً من الاملاك . وهو الذي ربى جميع اخوته . لانه لما توفي ابوه الامير حيدر لم يكن بالغاً في اولاده غير الامير ملحم والامير احمد . وكان محباً للجميع بالمساواة . ولما توفي الامير ملحم كان جميع اولاده صغاراً . وكان وكيلاً عليهم ومربياً لهم سعد الخوري صالح من رشميا .

وفي هذه السنة رجع الامير قاسم الشهابي من القسطنطينية الى دمشق الشام. وكان بعد نفي مصطفى باشا القواص من هناك قد انقطعت وسائله ولم يبق له مسعف على حاجته . فانقطع رجاؤه منها الا ان مصطفى باشا كان له شراق في القسطنطينية يقال له علي باشا الحكيم . فاوصاه به عند خروجه من هناك

ان يكون مسعفا له . وكانت الاحوال مضطربة بعد قيام السلطان الجديد . فامره علي باشا ان يعود الى دمشق ويكتب معه الى عبد الله باشا . فاضطر الامير قاسم الى الرجوع . واصحبه علي باشا بكتاب الى عبدالله باشا. ولما دخل الامير قاسم على عبدالله باشا دفع اليه الكتاب ، فقبله بكل اكرام وكان قد حان خروجه الى الحاج فعرض على الامير قاسم ان يعطيه المقاطعة التي يريدها في إيالة دمشق . فلم يقبل . وبقي في دمشق حتى رجع عبدالله باشا من الحج . فسار الامير قاسم الى ملتقاه وقدم له ثلاثة عشر حصاناً من جياد الخيل. وكان ملتقاهما في ضحراء المزاريب . وهناك حضر الى الباشا اعلام بوفاة علي باشا الحكيم . ورجع الامير قاسم من هناك الى دمشق مع عبدالله باشا. واقام عنده اياماً . فاتته الغزلة . وتولى مكانه شاليش باشا . فضاق صدر الامير قاسم وساءه عدم ذلك التوفيق . فخرج من دمشق واتى الى فالوغا في المتن ونزل عند الامير شديد ابن الامير مراد ابي اللمع . واقام عنده سنة ثم ارسل عمه الامير احمد والامير منصور فاسترضياه . وحضر الى حدث بيروت حيث كانت عياله .

وفي سنة ١١٧٤ (٧٦٠) . انجد للامير احمد ولد وساعده الامير حيدر . وهو المؤرخ المشهور .

وفي هذه السنة تولى دمشق الشام عثمان باشا الكرجي الملقب بالصادق . وكان السبب في هذا اللقب انه كان من بعض مماليك اسعد باشا العظم والي دمشق . وكان اسعد باشا قد تولى دمشق سنين كثيرة وجمع اموالاً لا تحصى وبنى ابنية عظيمة في دمشق . منها الخان المعروف باسمه الى الآن . ومشى الحج بنفقته سنوات. فانعمت عليه الدولة بطوق إشهاداً لانعطافها اليه. وامرت ان لا يقتل ولا يشهر عليه سلاح. ولما علمت بكثرة امواله التي جمعها ، ارسلت فقتلته خفية في الحمام وضبطت امواله فكانت مبلغاً عظيماً لا يقع تحت حساب. وكان اسعد باشا يحب مملوكه عثمان المذكور لاجل نباهته واستقامته في الخدمة. فكان يقربه اليه ويثق به في اسراره ولما قتل مولاه ووقع الضبط على داره طلبوا عثمان المملوك وسألوه عن خزائن سيده . فقرر لهم عنها كما هي . وبعد ذلك وجدت حافظة بعلم تلك الاموال . فكانت كما ذكر المملوك . وبلغ

ذلك الدولة العلية فانعمت عليه بثلاثة اطواق . وقيل له عثمان باشا الصادق . وكان من الاستقامة في القول والعمل على جانب عظيم .

وفي هذه السنة اصطلح الامير قاسم مع عميه الامير احمد والامير منصور اصطلاحاً تاماً وسكن في قرية بشامون من قرى الغرب الاعلى .

وفي سنة ١١٧٥ (١٧٦١) ولد للسلطان مصطفى غلام سماه السلطان سليم . وارسل البشائر الى جميع المدن في مملكته . وقامت الافراح والزينات في كل مكان . ونظم هذا التاريخ :

لما بدا بدر العلى في ذروة المجد العظيم
والسعد قد عم الملا ارخت محفوظاً سليم

وفي هذه السنة حدث اختلاف بين طائفة الروم والكاثوليكيين في مدينة حلب واخرجت الروم اوامر من الدولة العلية في القبض على البعض من وجوه الكاثوليكيين. فقبض عليهم الوزير وحبسهم فاعرضت طائفة الكاثوليكيين الى الباب العالي وخرجت فتوى من المحكمة الهمايونية بعدم التعرض لهم وهذه صورتها :

وما قولكم ادام الله فضلكم في رجل ذمي تولى بطريركا او مطرانا على النصارى الذميين الاروام وغيرهم من الغرباء القاطنين في مدينة حلب او دمشق الشام او غيرهما من مدن المملكة العثمانية بموجب خط شريف من حضرة مولانا السلطان لتعاطي امورهم الكلية والجزئية في دينهم من عقد نكاح وصلوات وغير ذلك من الاحكام . ثم ان فرقة منهم تعدت عليه وخالفته ضد امر مولانا السلطان . واختلطت بالافرنج الحربيين وتدينت بديانتهم وصلت في كنائسهم تريد في ذلك مخالفة امر مولانا السلطان والاستعلاء على المسلمين فهل تجبر على طاعة الامر العالي بامتثالها للبطريرك او المطران المذكورين . وان خالفت امر مولانا السلطان واستعلت على المسلمين فهل تكون حربية وينقض عهدها وتجري عليها احكام الحربيين وتكون دماؤها هدراً واولادها غنيمة للمسلمين ام لا ؟ افيدوا بالجواب . ولكم الاجر والثواب .

الجواب : الحمد لله مانح الصواب . انت خبير بما هو مصرح به في كتب ائمة مذهب امامنا النعمان وشرحه وفتاويه ان الكفر ملة واحدة . فان تدين النصراني بما تدين به اليهودي او تدين اليهودي بما تدين به النصراني او بما تدينت

به الافرنج فلا يكون ذلك ناقضاً لعهدهم لتصريح صاحب الكنز وغيره من معتمدي ايمتنا بان الذي لا ينقض عهده الا بالتحاقه بدار الحرب او بالغلبة على موضع الحرب . فان علمت ما قررناه ظهر لك ان الفرقة من النصارى الذميين اذا اجتمعوا بالافرنج وتدينوا بدينهم وصاروا في كنائسهم لا يكون ذلك تعدياً منهم ولا استعلاء على المسلمين ولا نقول انهم قد انتقلوا من دين الى دين . لما قررناه من ان جميع الاديان المخالفة لدين الاسلام في الكفر على حد سواء . ولاجل ذلك لا ينقض عهدهم ولا تجري عليهم احكام الحربيين لان الافرنج الحربيين اذا دخلوا دار الاسلام بامان يكونوا مستأمنين . وان مكثوا سنة ولم يعودوا الى دارهم يكونوا ذميين . وتجري عليهم احكام اهل الذمة . ولا يجوز سفك دمائهم ولا اخذ شيء من اموالهم ما داموا في دارنا كما هو مصرح به . ولا يكون عدم اداثهم الجزية مبيحاً لشيء من ذلك . ولا عدم اخذ الجزية من الافرنج القاطنين في دارنا تقصير منا . بل ان ابوا عن دفعها ايضاً كما يقول صاحب الكنز فلا ينقض عهدهم بابائهم عن الجزية ولا نقول انهم حربيون . واذا كان لا يجوز لنا سفك دماء الافرنج المذكورين في دارنا ولا اخذ شيء من اموالهم بغير حق فالاولى ان لا يجوز لنا ذلك بالنسبة الى الذميين الخاضعين لاحكامنا . ولا يجوز لاحد ممن يؤمن بالله واليوم الاخر ان يتعرض للفرقة الذميين سواء كانوا حلبيين ام دمشقيين ام غيرهم او يأمرهم بالطاعة للبطريرك او المطران المذكورين بالكفر . وقد تقرر في قواعد اهل السنة ان الرضى بالكفر كفر هو . نعوذ بالله من ذلك . وتوليهما عليهم بخط شريف من حضرة مولانا السلطان لا ينافي تدينهم بدين غيرهما . فان وجد بالخط الشريف ما يشعر بامتثالهم الى البطريرك او المطران فانه يكون قد وقع سهواً مرتباً على انتهاء البطرك او المطران لاستحالة وقوع ذلك قصداً من مولانا السلطان ايده الله تعالى . فيثاب حضرة مولانا الوزير وحكام الاسلام عن منع الذمي البطرك او المطران من تعرضهما للذميين الاغراب . وهذا الجواب المعتبر المعول عليه . ولا يعمل بغيره ولا يلتفت اليه . والله سبحانه اعلم . حرره الفقير اليه تعالى سليمان المنصوري الحنفي .

وفي سنة ١١٧٧ (١٧٦٣) اختلف الامير احمد والامير منصور في الحكم

فنزل الامير منصور الى بيروت واحضر محمد باشا العظم والي صيدا الى حرش بيروت وطلع به الى دير القمر . فقام الامير احمد من الدير الى كفرنبرخ . وحانت عليه مشايخ الغربية . وحضر الى دير القمر الشيخ عبد السلام حماد والشيخ شاهين تلحوق . وتوجه الامير يوسف ابن الامير ملحم واخوته وعيالهم الى المختارة . وضبط الامير منصور جميع املاكهم . ثم توجه الامير يوسف الى راشيا والتقاه الامير منصور حاكم راشيا بكل اكرام ودخل في الصلح الشيخ علي جنبلاط والشيخ كليب نكد بينه وبين عمه الامير منصور. وحضر الامير يوسف الى بشامون قاطناً عند ابن عمه الامير قاسم ابن الامير عمر الذي تقدم الكلام عنه . وحضر كاخيته سعد الخوري الى بسكنتا . واقام عند الامير احمد ابن الامير حسين ابي اللمع حاكم بسكنتا . وابتدأ الشيخ علي جنبلاط يترامى على الامير منصور في رفع الضبط عن املاك عائلة الامير ملحم . وكان الامير منصور له طمع في ميل الدولة اليه . فرد سؤال الشيخ علي ولم يرفع الضبط . وكان في ذلك الوقت اتفاق حسن بين الشيخ علي والشيخ كليب نكد . وهما يحبان الامير يوسف محبة صادقة . وكان شيخ العقل في تلك الايام الشيخ اسماعيل ابو حمزة . فارسله الشيخ علي جنبلاط الى الغرب . الظاهر لكي يحافظ على الخلوات حسب العادة . والباطن لكي يربط مع اهالي البلاد على قيام مصلحة الامير يوسف . وبعد حضور الشيخ اسماعيل الى الغرب اتفق الشيخ علي والشيخ كليب مع الامير يوسف ان يتوجه الى دمشق وجميع البلاد في غرضه . فتوجه الامير يوسف الى قب الياس في البقاع . وحضر اليه سعد الخوري من بسكنتا . وتوجه به الى دمشق الشام . وكان عليها عثمان باشا الكرجي الصادق الذي تقدم الكلام عليه فالتقاه بكل اكرام ورجع الامير منصور الى بيروت ومحمد باشا الى صيدا . وقدم له الامير منصور خدمة عشرة الاف قرش . وتوجه الشيخ كليب الى حاصبيا خوفاً من الامير منصور. وكان محمد باشا الكرجي ابن عثمان باشا نائباً على طرابلس الشام . فكتب اليه عثمان باشا ان ينعم على الامير يوسف بحكم بلاد جبيل . لانها في ذلك العهد كانت تابعة ايالة دمشق . وخرج الامير يوسف بذلك الكتاب الى مدينة جبيل والتقاه الشيخ كليب نكد الى الطريق . وسار معه . ولما وصل الى

جبيل حضرت اليه اكثر مشايخ البلاد وتقدم من هناك الى طرابلس وكان عمره يومئذ اثنتي عشرة سنة . واتا سعد الخوري كان يدبر اموره . وكان الامير يوسف كريماً فاحبته الناس ومالت اليه اهالي البلاد .

وفي سنة ١١٧٨ (١٧٦٤) ركب عثمان باشا الصادق على الشيخ محمد الجرار في قلعة سانور . وارسل الى الامير يوسف فجمع الامير يوسف عسكرًا والتقى به عثمان باشا فعظم امره عنده واكرمه غاية الاكرام . وكان الامير منصور حنقاً على الشيخ علي جنبلاط . فاتفق مع الامير قاسم والامير علي والشيخ عبد السلام العماد على قصاصه . ولما علم الشيخ علي بهذا الاتفاق ارسل فدفع الى الامير يونس اخي الامير منصور سبعة الاف وخمسمئة قرش حتى يقوم الى الشوف . فقبل الامير يونس . وقام من دير القمر الى مزرعة الشوف فحضرت اليه المشايخ الجنبلاطية برجال الشوف والبعض من رجال البلاد . واشتدت الحركة . وفي ذلك الوقت اتفق انه انعزل محمد باشا العظم من صيدا ومات السيد علي المرادي في دمشق . وهما عمدة الامير منصور وبهما كان يشتد عزمه . فضعف عزم الامير منصور وعدل عما كان في نفسه . وحضر الشيخ علي والامير يونس الى مواجهته في دير القمر وحصلت الالفة بينهم . ورجع منصور الى بيروت والامير يونس والشيخ علي الى منازلهما .

وفي هذه السنة كان امير الحج في مصر حسين بك كشكش . وكان بطلاً في الحرب . لا يطاق . وكان يخرج بالحج ويرجع بدون ان يعطي دمية العربان . وكان في ذلك الموسم امير الحج الشامي عثمان باشا الصادق . فالتقيا هناك ووقعت بينهما منافرة . فتلافاها الشريف مساعد بن زيد سلطان مكة . وكان يميل الى عثمان باشا وبقي في نفسها اثر من ذلك . وعاد كل منهما الى مكانه . وبعد رجوع الحج المصري كان فيه الامير علي بك وكان عنده خزندار يقال له محمد . فالبسه كاشفاً عن المنوفية . ثم البسه سنجقاً . وكانت عادة الغز انه حين يلبس احدهم على السنجقية يخرج من دار مولاه وينثر الفضة على الخدم . فخرج محمد ونثر الذهب فقيل له ابو الذهب . واما استاذه علي بك فانه بعد ذلك تمرد على السناجق فاتفقوا عليه واخرجوا امرًا من الوزير بنفيه واخرجوه من مصر منفياً الى الاقطار الحجازية . فاقام مدة في السويس . ورجع

سراً الى مصر ومعه مملوكه محمد ابو الذهب ودخل الى بيت حسين بك كشكش . وارسل محمد ابا الذهب الى بيت عثمان بك الجرجاوي . ولما علمت السناجق برجوعه عقدوا ديواناً . فجزم الامير خليل بك شيخ البلد وبعض السناجق برجوعه الى الحجاز حسب امر الوزير . فابى حسين بك وعثمان بك لدخوله منازلهما . واخيراً اتفقوا على خروجه الى بلاد الصعيد فانزلوه البحر وجهزوه بما يحتاجه وتوجه الى مدينة اسيوط ومعه مملوكه محمد ابو الذهب . وكان منفياً هناك صالح بك تابع مصطفى بك . وبعد ذلك اخذ علي بك وصالح بك يكاتبان الوزير وبعض السناجق فمال اليهم حسين بك جوجو . وربط مع الوزير حمزة باشا وبعض ارباب الوجاقات على قتل الامير خليل بك شيخ البلد وعثمان بك الجرجاوي وحسين بك كشكش . وصار الاتفاق انهم متى حضروا لتهنئة الوزير بالعيد يثبون عليهم ويقتلونهم . وكان ذلك في اواخر شهر رمضان . ولما كان العيد حضروا كعادتهم مستأمنين . وجلسوا بحضرة الوزير دخل عليهم اربعة انفار واطلقوا عليهم الرصاص . فاصابوا عثمان بك الجرجاوي فقتل . وهربت بقية السناجق الى باب الغرب وباب الانكشارية . وقامت لحمايتهم رجال الوجاقات وثاروا على الوزير والقوا عليه التراسيم وطلبوا حسين بك جوجو واصحابه فاختفوا في البلد ثم خرجوا الى الصعيد والتقوا بعلي بك وصالح بك . واخبروهما بقتل عثمان بك الجرجاوي . وكان الشيخ همام حاكم الصعيد يحب علي بك محبة عظيمة . فالتجأ اليه علي بك وسأله النجدة فجهز معه عسكراً من العرب والهوارة . وانضمت اليهم الغز المنفية الى بلاد الصعيد من قديم الزمان . وساروا بتلك العساكر يطلبون مصر . ولما علم بذلك خليل بك والسناجق الذين في مصر جهزوا عساكرهم . وخرجوا الى ملتقاهم . فالتقت العساكر في مكان يقال له البياضية وانتشبت بينهم الحرب . فانكسرت عساكر خليل بك . ورجعوا طالبين بلاد غزة والاقطار الشامية . وتقدم علي بك وصالح بك الى قرية يقال لها البلد . فنزلا هناك . وخرجت اليهما اكابر الوجاقات . وعلماء البلد ونائب الوزير والاعيان وادخلوهما الى مصر باحتفال عظيم . ولما دخلوا المدينة قصدوا القلعة واخرجوا حمزة باشا من تحت التراسيم . فخلع على علي بك واقامه شيخ البلد وعلى صالح بك واقامه متولياً .

وفي هذه السنة اصلح الامير اسماعيل ابن الامير منجم حاكم حاصبيا قلعة بانياس وبنى ما كان قد هدم منها من ايام بني معن ونزل بها قاطناً . فحضر اليه عثمان باشا الصادق والي دمشق وحاصره اياماً . وكان لما بلغه خروج عثمان باشا ارسل استنجد الامير منصور الشهابي . وقبل ان تصل اليه النجدة سلم القلعة عن يد يوسف آغا ابن جبري نائب عثمان باشا . ولما تسلم القلعة عثمان باشا قبض على الامير اسماعيل واخذ منه اثني عشر الف قرش ونهب كل ما كان في القلعة . ثم امر بهدمها واطلق الامير اسماعيل بعد ذلك . فاراد ان يتوجه الى القسطنطينية . وسار حتى وصل الى بلاد بعلبك . فارسل الامير منصور اخاه الامير علي وابن اخيه الامير قاسم الذي كان توجه الى القسطنطينية سابقاً ورجع فارغاً . فعدلاه عن ذلك . وحضروا جميعاً الى بيروت . واصلح الامير منصور بين الامير اسماعيل واخيه الاكبر سلمان . لانهما كانا قد اختلفا على حكم وادي التيم . ورحل الامير سلمان الى بيروت . وبعد اتفاقهما رجعا معاً الى حاصبيا . واقاما مدة هناك . فغدر الامير اسماعيل بالامير سلمان . وقتله . وكان له ولدان فهربا الى بيروت . وتمكن الامير اسماعيل من حكم وادي التيم . واتفق مع المشايخ المتاولة والشيخ ظاهر العمر . وخافت منه امراء تلك البلاد . وكان قد زوج اخته بالامير منصور وصار بينهما محبة شديدة . وكانت اخته الاولى زوجة الامير ملحم واتخذ الامير اسماعيل كثيراً من الخدم والخيل والسلاح . وصار في ثروة واسعة . واصلح الامير منصور امر اولاد الامير سلمان . وجعل لهم معاشاً على عمهم . ورجعوا الى حاصبيا واقاموا هناك .

وفي سنة ١١٨٠ (١٧٦٦) رجع الامير خليل بك وحسين بك كشكش ومن معهما من بلاد غزة هاشم ومعهما عساكر كثيرة عربان ومغاربة ودالاتية ووصلوا الى مدينة المنصورة . ولما بلغ الامير علي بك قدومهم جهز اليهم العساكر مع مملوكه محمد بك ابي الذهب . وخرجت معه الوجاقات السبعة فالتقوا في نواحي المنصورة واشتبك بينهم القتال اكثر من اربع ساعات . فانكسرت عساكر علي بك ورجعت الى مصر . فجرد علي بك ركبة ثانية وخرج معها صالح بك ومحمد بك ورجال الوجاقات السبعة . ولما علم الامير خليل بك والامير حسين بك بتجريد العساكر عزما على المسير الى اراضي الصعيد . فلم

يحبها العسكر الذي معها على ذلك . وانصرف كل منه الى بلاده . فسار خليل بك وحسين بك بعشيرتهما الى هناك . ونزلا في قرية يقال لها طلدة . واجمع رأيهما على ترك القتال ومراسلة السناجق الباقين في مصر ان يقبلوهما . وكان صالح بك لما بلغه دخولها الى تلك الاراضي سار اليها ومعه محمد بك ابو الذهب . ولما اقترب من طلدة اجتمعت اليه اكابر الوجاقات . وقالوا له الاوفق لنا ان لا نتعاطى امر القوم ومعنا محمد بك ابو الذهب لاننا نعلم انه لا يخامر عليهم . واذا انتشب القتال بيننا وبينهم لا بد ان يتخلى ويتركنا في المقدمة . فان رأيت ان نفوض الامر اليه . فقبل صالح بك رأيهم . وساروا جميعاً الى خيمة محمد بك ابو الذهب . وقالوا له : انت ابن الامير علي بك وهؤلاء اخوتك . وانتم عائلة واحدة . ونحن قد فوضنا هذا الامر اليك . فافعل ما تراه صواباً . فدعا محمد بك كاشفاً يقال له ذو الفقار الفيومي . وامره ان يمضي الى طلدة ويظهر انه قد غاب عن ابي الذهب وينضم الى خليل بك وحسن بك ويحتال على قتلهما . فكفل له ذو الفقار ذلك . وسار برجاله الى هناك . وكان القوم لا يحتسبون منه . لانه كان من عشيرتهم . فاطمأنوا اليه . وعند وصوله هجم عليهم برجاله فأصاب عبده حسين بك برصاص فقتله . وكان الى جانبه مملوك له . فقتله ايضاً . وانذعر القوم من ذلك فتشتتوا . وكان في طلدة مقام للسيد احمد البدوي تنبيه الاسلام . ففر خليل بك ودخل ذلك المقام . واحتمى فيه مع مماليك علي بك المللطي وعثمان بك . وتلاه حمزه بك والوالي . فادركتهما جماعة ذي الفقار وعبده قبل دخولها الى المقام وقتلوهما هناك . وفر اسماعيل بك ابو مدفع الى الجهة الشرقية ودخل مدينة المنصورة . وكان ذو الفقار قد قطع رؤوس الذين قتلوهم . فارسل تلك الرؤوس الى محمد بك ابو الذهب واعلمه بدخول خليل بك ومماليكه الى مقام السيد احمد البدوي . فارسل محمد بك اعلم مولاه علي بك بذلك . فرجع الجواب ان خليل بك واصحابه حيث دخولهم مقام البدوي . لا يهجم عليهم حفظاً لحرمة المقام . ولكن يخرجهم بالامان ويرسلهم الى الاسكندرية . واخرج امراً من الوزير بذلك وان يطوف محمد بك وصحابه في جميع الاقليم ويقتل كل من وجده من السناجق والكشاف . فخرج خليل بك ومماليكه من المقام وسافروا

الى الاسكندرية بالامان ورجع محمد بك وصالح بك الى المنصورة . وقبضا على اسماعيل بك وحسين كاشف ومحمد كاشف . وقطعا رؤوس الثلاثة . ورجعا الى مصر . وتلك الرؤوس قدامهما على الصواني الفضية . فارسل علي بك الى القسطنطينية واعرض للدولة العلية ان هؤلاء القوم كانوا عصاة متمردين وانهم حبسوا الوزير في القلعة . واخرج اعلاماً بذلك من العلماء والاشراف . وبعد ذلك ارسل الى الاسكندرية وخنق خليل بك شيخ البلد في القلعة . وطابت له الايام . وخافت من سطوته اهالي تلك البلاد . وكان علي بك رجلاً جباراً يحب الرئاسة ولا يريد ان يكون له شريك فيها . فكان يبذل جهده في قتل السناجق والكشاف حتى لا يبقى امامه احد . وجعل يتخذ رجالاً جديدة ويجتهد في قرض الوجاقات القديمة . وحدثته نفسه ان يسطو على الحجاز واليمن والشام ويعيد دار الخلافة الى مصر كما كانت في ايام الشراكسة . واقام علي بك في تلك الايام والياً على البلاد رجلاً يقال له احمد الجزار . وكان هذا الرجل اصله من بلاد البشناق من اقليم البوصنة . حضر الى مصر وخدم عند احمد كاشف . ولبس مابوس المماليك وبعد ذلك توفي سيده . فانتقل الى خدمة رجل من السناجق يقال له عبدالله بك . واتفق ان عبدالله بك خرج يوماً الى الجيزة فقتله العرب الهنادي . فانتقل الجزار الى خدمة ذي الفقار . فاقامه مقداماً على القرية في نواحي العرب الذين قتلوا مولاه فكان يترصدهم ويقتل من ظفر به منهم . فقتل اربعة من مشايخهم . وارسل رؤوسهم الى مصر . فصار له اسم هناك . وكان كلما قتل واحداً منهم يقول : يا ثار عبدالله بك . وبذلك قيل له احمد الجزار . واحبه علي بك وقربه اليه حتى جعله والياً كما مر . وبقي احمد بك الجزار في رتبة علي بك الى ان دعاه في بعض الايام . وطلب منه ان يسير مع محمد بك ابي الذهب الى قتل حسن بك جوجو . فمضيا . وراقباه حتى خرج من منزله ليلاً ومعه الجن علي بك . فهجما عليهما وقتلاهما وهربت اصحابهما . وعاد محمد بك واحمد بك الى الامير علي بك واعلماه بذلك فاغتاظ من قتل الجن علي بك . فاعتذرا اليه انه قتل غلطاً . وبعد ذلك لبس علي بك الجزار سنجقاً وعاشت منزلته عنده . وكان ذلك بغير رضى صالح بك . فاحتسب علي بك منه وعزم على قتله . فدعا احمد بك الجزار

وامره ان يسير في قتله مع محمد بك ابي الذهب . فقال ان بيني وبين الرجل عهداً من حين كنا بالعريش ان لا يخون احدنا صاحبه . والان لا انقض ذلك الميثاق . فانكر علي بك ذلك خوفاً من ان يعلم الجزار صالح بك . وتلافى الامر معه . فقال له : حياك الله يا احمد بك . الان عرفت انك تحفظ الوداد . وانا اردت ان اختبرك . فقد حظيت الان عندي اضافاً . وخرج من عنده . احمد بك الجزار الى صالح بك من فوره . واعلمه بما كان فقال صالح بك : ما اظن ان اخي علي بك يفعل هذا . لان بيني وبينه عهوداً ومواثيق. كما بيني وبينك .

ومن الغد حضر علي بك الى دار صالح بك وهو يعلم ان الجزار لا بد ان يعلمه بذلك . وقال له : يا اخي هل اخبرك احمد بك الجزار ما قلت له ؟ قال نعم . فقال علي بك: وانت يا اخي ينبغي ان تختبر رجالك لتعرف الخائن من الوفي . فلن من لا يحفظ الوفا . لغيرك لا يحفظه لك . ثم رجع علي بك الى منزله واخبر محمد بك ابا الذهب بكل ذلك . وقال له الاصوب لنا ان نقتل صالح بك واحمد بك ايضاً . لاننا لا نأمن شرهما .» ومن ذلك الوقت صار محمد بك ينتهز الفرصة الى ان خرج يوماً صالح بك واحمد بك الى خارج البلد . فخرج معهما محمد بك ابو الذهب . ولما كان في بعض الطريق مشى محمد بك خلف صالح بك . وضربه بالسيف . فخرّ على الارض قتيلاً . وهربت اصحابه . وكان احمد بك الجزار متأخراً عنهما فخادعه محمد بك ابو الذهب. وتقدم به الى الجيزة وكان احمد بك على حذر منه لا يمكنه من فرصة عليه حتى جلسا ناحية في الجيزة واخذ محمد بك يباسطه حتى يأنس به . ثم جعل يمسح سيفه من الدم . ويقلبه . ويعجب من مائه ومضائه . وقال لاحمد بك: يا اخي كيف سيفك ؟ ارني اياه . فقال : ان سيفي لا يخرج من غمده الا ليدمي . ونهض قائماً . فضحك محمد بك . ومازحه ليريه انه اتى ذلك بقلب سليم . ورجعا بعد ذلك الى المدينة . فمضى احمد بك الى منزله . ولبس لباس المغاربة وسافر الى بولاق . ثم الى الاسكندرية . ثم الى القسطنطينية . ثم الى حلب . ثم الى دمشق . وسيأتي تمام الكلام عنه .

واما علي بك فلما رجع اليه محمد ابو الذهب واخبره بقتل صالح بك وما

كان بينه وبين احمد بك الجزار امر، علمانه ان يدعوا الجزار من منزله . فاتوا منزله . وسألوا عنه فقالت زوجته : انه مريض . وبعد ثلاثة ايام ذهب محمد بك ابو الذهب الى منزل الجزار فلم يجده . وعلم انه قد سافر . ولكن لم يعلم الى اين . فارسل علي بك في طلبه برًا وبحرًا . ولم يجده . وقيل له انه سافر الى القسطنطينية . فاكتفى بذلك . وطابت له الايام . وانفرد بالولاية في مصر . ولم يبق له ضد ولا ند . واخذ يسطو على الوجاقات فيقتل بعضًا وينفي بعضًا . ويكثر من الجنود والانصار حتى تمهدت له الاقطار المصرية وعظم موكبه وكان اعظم اصحابه محمد بك ابو الذهب . وكان محمد بك رجلًا مهيبًا جميل الصورة سعيدًا في ركوبه خبيرًا بالقتال شجاعًا لا يبالي بالاخطار . ونظم الامير علي بك احوال مصر وقطع اللصوص والخطفة واجرى العدل والامان وهابته الناس وشاع ذكره في جميع الاقطار .

وفي سنة ١١٨١ (١٧٦٧) خسفت الارض في جانب نهر الصفا تحت قرية كفرنبرخ . وتزلزلت تلك الارض . فانتقل الجبل الذي هناك الى الجانب الثاني . وراحت اغراس لا تحصى تحت الهدم . وابيات هناك علاها الردم . فمات بها جملة اناس وكثير من المواشي وقيل انه بعد ايام كان يسمع صياح الديوك من تحت الردم . واجتمع كثير من التراب وغيره في مجرى النهر فاحتقن جملة ايام . وظل ماؤه متكررا جملة سنين وكان في ذلك المكان معادن كبريتية وهي باقية الى الآن في جانب النهر . واذا مست فاحت منها رائحة الكبريت ولعلها كانت هي السبب في ذلك . وقيل ان رجلًا من كفرنبرخ كان فوق ذلك الجبل . واذا بالجبل يمشي به كالسفينة . فاذا به قد صار في الجانب الاخر . فلم يضره ذلك . ولكنه اندهش فاختل عقله وعاش بعد ذلك عدة سنين مجنونًا . وكانت تلك الحسنة في ثامن عشر شهر كانون الاول .

(يتبع)

معجم العلائلي

بقلم الاستاذ منصور ابي صالح

شرع الشيخ عبدالله العلائلي باصدار معجمه « مقسماً بشكل دوري ليكون في جديده محلاً للنقد والتصويب » (ص ٢٣) فاستقبله الجمهور استقبالاً رائعاً في الصحف والمجلات والنوادي واعتبره اكثرهم حدثاً جديداً في اللغة يجدد شبابها ويرقى بها درجة عليا بعد وثبة الشدياق في القرن الماضي ونهضة المطران جرمانوس فرحات من قبل . واحتفى به الخاصة بحفلة حافلة قيل فيها كل جميل وقام رجال الحكم بواجبهم نحو المؤلف « فايد مجلس النواب اشتراك الحكومة بتقديره وشراء نسخ منه » (نشرة المعجم ص ١).

واطلعنا على الكتاب فاذا ابنا امام جهد بالغ ونصب مضن وجلد عجيب وثمرة « ليالي مؤرقة بين اشتات الكتب قديمة وحديثة » على حد ما قال المؤلف (ص ٢٢).

الا اننا لم نقع ، في ما قرأناه عن الكتاب ، على بحث يليق بجهد المؤلف يصح تسميته موازرة له بالبحث والدرس بطريقة علمية تفي بالموضوع مع ان المؤلف دعا كل قارئ « الى ابداء الرأي حتى ولو (كذا بالاصل) مشوباً بالازورار » (ص ٢٣) وذلك شأن المنصرفين للخدمة بالاخلاص .

وهذه المشاركة بالبحث والدرس هي اجدى في نظرنا ، وفي نظار المؤلف على ما نعتقد ، من التقريظ والمكافأة المادية .

لذلك رأينا ان نؤدي ما يفرضه علينا الموضوع تلبية لداعي الواجب بدرس الكتاب بما امكن من الايجاز والاستيعاب مجتنبين الاختصار المخل والتفصيل الممل .

١

نظرة عامة

١ – شكل الكتاب

الكتاب بقطع نصف يشتمل على مقدمة وبعض حرف الالف (الى اخين) منوع الحرف بين دقيق وكبير رائق التبويب ما بين اصل وفرع ، وفعل واسم

وحرف ، مجرد ومزيد ، معاوم ومجهول ، لازم ومتعد ، الى آخر ما وسع المؤلف من عناية بالفروق وايراد المقابل من لغتي الانكليز والفرنسيين .

٣ — لغة الكتاب

المؤلف متجدد متحرر . للغته في البحث الجديد طابع خاص عليه مسحة من الغموض والابهام شأن كل حديث غير مألوف يؤدى بلغة جديدة لا يدرك المطالع مرماها بسهولة ولا سيما القارئ العادي فلا ينجلي قصد المؤلف وحقيقة فكرته الا بكد الذهن واعمال الروية وتكرار المطالعة واذا انجلى فهيهات ان يستوثق القارئ من انه احسن الفهم مثاله « لاوليتها غنى » « المحل المتهافت » « الصيرورة » بناء فوقي « السببية العقلية » « دلالة المطابقة » اقصى التخالل في اللطائف واعلى التسدد في الجوامد (ص ١ ، ٢ ، ٥ ، ٦ ، ١٨ ، ٢٨) ولغته كلها على هذا النمط في ما يبديه المؤلف من ارائه الخاصة حتى اذا تناول الابحاث المطروقة جاءت سهلة يتلقاها القارئ دون عناء .

فهذه اللغة وان تكن مفهومة بذاتها تغدو غامضة عند تطبيقها على الموضوع ومحاولة استشفاف مقصد المؤلف من تخللها على ان ذلك ان جاز في بحث علمي معد لنخبة من الاختصاصيين فلا نراه يجوز في الابحاث المعدة للعامة فجدا لو ان المؤلف وضع نفسه موضع القارئ العادي وحاول افهامه بلغته على نحو ما كان يفعل المؤلف الافرنسي « موليار » المروي عنه انه كان يقرأ على خادمه ما يكتبه ويسألها عما فهمت منه.

اضف الى ذلك بعض اغلاط شائعة على اقلام الكتاب اذا اغتفرت لعامتهم في مطبوعاتهم اليومية البخسة فلا يجوز ان يؤخذ بها مثل الشيخ اللغوي الذي لا يجيز لنفسه الا استعمال الكيمياوي ولم يكتب ولو مرة واحدة الكيماوي او الكيموي . فخليق بمثله الا يستعمل التعابير الآتية : سبق ونوهت به ، اتفق ورأينا ، حتى ولو ، كاي حي ، (صفحة ١٠ ، ١٣ ، ٢٣) بله الاغلاط المطبعية وهي غير قليلة ، لا يمكن التسامح بها في مؤلف جدي معد للتثقيف الناشئة والا بات مدرجة لتعميم الخطإ وهذا ما انكره المؤلف نفسه (في كتابه مقدمة صفحة ١١٢ بختامها) ووصفه « بانه ترويج للخطأ واشاعة للاغلاط » .

وهناك بعض عبارات ليس لها من ميزة الا طلاوة الجديد : مهما يكن من شيء ، المنوه به ، حتى لحاضر ، الخ.. (صفحة ٤ ، ٥ ،).

٣ – مكانة الكتاب

على ان قيمة التأليف ما كانت ولن تكون بالمبنى جلّ او حقر بل كل العبرة بالفكرة المتجسدة فيه فالكتاب اذا قسنا متنه اللغوي بامثاله رجح عليها جميعاً ترتيباً وتبويباً وسبكاً وايضاحاً غير ان المؤلف أدرك ان سلوك الطريقة القديمة ولو بتفوق كبير لا يفي بالحاجة بل لا بد من طريقة علمية منطقية تنهض باللغة الى مصاف اللغات الحية الوافية بمطالب الحياة .

وكل واقف على معاجمنا يدرك انها ركام من المتناقضات بل تيه يضل فيه الخبير ولا غرابة في الامر فجل الذين عنوا بها اعاجم غرباء عنها من سيبويه المأثور عنه قوله خذوا لغتكم من اعجمي . الى الفيروزبادي صاحب « الضادي والمضادي والضوادي » (ص ٢ من مقدمته) الى الروائف والجبوب والعضرط والصلة والشناتر الخ الخ (ص ٤ من مقدمة الهوريني الثانية عليه) ومن بالغ النكاية ان الهوريني اورد هذه العبارة وامثالها في مقدمته التي سماها « فوائد لطيفة » . وجعل عبارة العضرط والصلة السابقة من مفاخر الفيروزبادي البالغة والجناية البالغة انه نسبها الى سيد البلغاء بلا منازع الامام علي .

وقد تنبه الى هذه العيوب اكثر المشتغلين باللغة من القدماء الى المحدثين كالشدياق واليازجي وزيدان فطرقوا الموضوع وادوا خدمات جلى للغة . واطلّ العلائلي والعسل لا يزال في مبتداه فاخذ على نفسه مهمة الاصلاح وذلك حيث يقول : « كثيراً ما اتهمت العربية بان الكلمة فيها تنشر جناحيها وتطويها على معاني شتى من كل واد » (ص ١٤) والواقع ان المؤلف ترفّق بالمؤلفين بقوله : « اتهمت » لان معاجمنا خالية من كل صلة معنوية او رابط منطقي فليس هناك تهمة مشكوك بها بل حقيقة ناصعة وكل مادة في اي معجم شئت تشهد بان لسان العرب لم يدرس بطريقة منطقية علمية بل ان اصحاب المعاجم قصروا همهم على جمع اللغة كما تيسر لهم اكداساً وركاماً قُدّم بها الفرع الغريب على الاصل الفصيح كانهم رأوا ان مهمتهم تفسير الناهض اولاً وخلطوا به الدخيل

والحوشي والسافل والجلي بحيث اختفى على العربي وجه فتنه اختفاء تاماً .

فتلافياً لذلك استهدف المؤلف القاعدة الآتية : « استخلاص الوحدة المعنوية الاشتقاقية الكبرى اي المعنى الجامع بين كل مشتقات الجذر اللغوي الواحد سالكاً فيها حكاية تطور الجذر بين حقيقة ومجاز » (ص ١٤) ويليه اهداف اخرى كالتفرقة بين ابواب الافعال تبعاً للمعاني وبين الحقيقة والمجاز والتنزيل والنقل الى عدة اهداف غيرها بلغت الخمسة عشر فضلاً عن قواعد اربع وضعها للموازنة وتأصيل الفروع والافعال والتعدية واللزوم الخ ...

فسبيلنا الالمام بهذه الاهداف والتعقيب عليها بما يبدو لنا وراءنا تسديد الخطى في خدمة اللسان. اما ان نخطئ او نصيب فذاك شأن كل باحث وللجمهور الرأي الاعلى .

وغاية المأمول ان يتناول العارفون الموضوع بالعناية اللائقة به ليستقر الجمهور على رأي نهائي فاللغة لغتنا حياتنا نحياتها .

٢

الوحدة الاشتقاقية

ذكر المؤلف لكتابه عدة حسنات كما قدمنا . فأولى هذه الحسنات بالعناية « الوحدة الاشتقاقية او المعنوية » لانها بنظرنا تشبه البلسلة الفقرية للغة . وكل جهد لغوي لا ينحو هذا النحو مصيره الاخفاق التام — وأكبر عيوب معاجمنا اهمالها هذه الناحية المنطقية . فللمؤلف كل الفضل باتخاذه هذه القاعدة اماماً يحتذى ونبراساً يستضاء به .

غير ان القاعدة شيء واستعمالها شيء آخر فالعبرة كل العبرة في تطبيقها .

ان ابن خلدون وضع مقدمة لتاريخه جاءت بدعة في عصره ولا تزال للان ذات شأن ولكن التاريخ الذي وضعه جاء مطبوعاً على غرار ما تقدمه وبقيت اصول مقدمته النفيسة حرفاً ميتاً .

مقارنة

فلم ننظر في الوحدة اللغوية وتسلسلها المنطقي عند المؤلف مبتدئين باول

المواد : الالف والباء . فنثبت المتن اولاً اخذًا عن المعاجم السابقة كاللسان والفيروزبادي ومحيط المحيط والبستان ثم نقابله بما ورد لدى المؤلف ثم نعرض ما لدينا .

١

في الثنائي

أ — مثال اول

ا) — ابَّ : في المعاجم السابقة وردت كما يلي :

« ابَّ للسير » : تجهز ، الرحل : صاح ، الى وطنه : حنّ اليه ، هزم بحملة صادقة ، يده الى سيفه : ردها اليه ليستله ، الشيء : حركه ، أبَّ أبّه ، قصد قصده . ويليه المزيد .

« ابَّ » : صاح ، تابَّ فرح كثيرًا وتعجب ، انتبَّ تهيأ وتجهز .

« الأباب » : الماء والسراب ، الأباب معظم السيل .

« الابُّ » : ما تشتهي الانعام رعيه كالفاكهة للانسان .

« الإبابة » : الطريقة .

ب) — ابَّ — عند العلائلي

وبالرجوع الى معجم العلائلي نراه قدم لهذه المادة بما خلاصته : « لهذا الجذر في الساميات مسيس بدبيب الحياة وتجدد الخضرة والخصوبة ...

اما القدر المعنوي الجامع في دائرة العربية فانه جمع العزم على الرغبة وصبّه في حركة او نزوع الخ » وقد اطال المقدمة ولم يعلل لرأيه هذا بدليل ما ، ولا حاول تطبيق المادة على مقدمتها ليمكن ان يقال ان رأيه مستمد من متن اللغة وان الإستعمال يشهد بصحته وذلك انه اورد المتن كما يلي .

« ابَّ له الرجل لشأن ما كالسفر : تهيأ واستعد وتجهز .

« ابَّ » « مجازا » الى الوطن : حنّ ، في وجه خصمه : صاح ، يده الى سلاحه ردها ليستله .

« ابَّ » المحارب : ، غاب بهجمة صادقة ، الشيء : حركه .

« انتبَّ » المسافر ، تجهز ، ابَّ النازع : صاح .

« تأبيبة به » : فرح كثيرًا ، السامع : تعجب بسذاجة ، الفتى : تبسم تبسم الابله .

الأباب : الماء والسراب . الأباب معظم السيل او الموج .

« الابابة » : الطريقة . الاب : المرعى .

« إبّان » : الوقت ولا يستعمل الا مضافاً . اه .

فلا ادري اذا كان لمقدمة هذه المادة علاقة ما بمعانيها المتصلة اعلاه وهل من دبيب للحياة فيها او جمع العزم وصبه . ثم هل تظهر الوحدة الاشتقاقية والمعنى الجامع بين الماء والسراب والموج والوقت وهل من فرق كبير بين ما ورد في المعاجم السابقة وما قدمه المؤلف .

والنتيجة التي ارى مفردات هذه المادة لا تزال غامضة متضاربة بعيدة عن المنطق شأنها في المعاجم القديمة .

ج) — ابّ — كما وردت لدينا

وددنا لو نسجت هذه المادة كما يلي :

« ابّ » : تحرك وحرك .

« ابّ يؤب ويئب ابا وابابا وأبابة وإبابة وابيباً » : الرجل : (لازم) تحرك صائحاً من فرح او حنين الخ .

« ابّ اليه » : تحرك كحركته بمعنى قصد قصده .

« ابّ للسير » : تحرك له بمعنى تجهز .

« ابّ الى وطنه » : تحرك اليه حنيناً .

« ابّ على خصمه » : حمل عليه حملة صادقة هزمه بها .

« ابّ الشيء » : (متعد) حركه .

« ابّ يده الى سيفه » : مدها اليه ليستله .

« الابّ » : كل ما تنبت الارض من مرعى للانعام كالفها كهة للانسان .

« الاباب » : (مصدر) الحراك مطلقاً فيرد بمعنى الجهاز يقال : هو في ابابه (اي في جهازه) .

واطلق على الماء والسراب والسيل والموج [وارى جواز اطلاقه على اشباهها كالضياء والرواء والشراب والضباب الخ . . .] ومنه المثل : « اذا اصابت الظباء الماء فلا عباب وان لم تصبه فلا اباب » اي ان وجدته فلا تعب منه (والعب الشرب بغير تنفس) وان لم تجده فلا تسعى اليه . يضرب لمن يعرض عن الشيء استغناء .

« الأباب » : معظم الشيء من الموصوفات اعلاه (اي معظم الماء والسيل والموج الخ . . .)

« الأبابة » : (مصدر) الحركة بمعنى الطريقة يقال : ابت ابابته بمعنى استقامت طريقته (اي حركته) .

« اب وناب وأنتب »: مزيدات اب بمعناها اي ، تحرك: صائمًا . او فرحًا او منجبًا او متجهزًا .

تعليل : ومن حق القارئ ان يسأل ما هو الدليل على ان « ابّ » معناها « تحرك وحرك » وان الاباب هو الحراك وليس الماء والسراب الى آخر ما خالفنا فيه اصحاب المعاجم .

فهوذا الجواب : اما ان معنى اب « حرك » فان جميع المعاجم الكبيرة قد نصت عليه وان تكن ذكرته في آخر المادة واغفلت تحرك . واما ان هذا المعنى هو الاصلي دون سائر المعاني الكثيرة المتكدسة في المعاجم ، كما اثبتنا اعلاه فدليله ان الكلمة قلما تحتمل عدة معان اصلية بل هي في الاعم الاغلب ذات معنى واحد اصلي تتفرع عنه سائر المعاني بالاستعمال مجازًا او استعارة او تشبيهًا او كنايةً الخ .

فسبيل اللغوي استعراض المادة والالمام بجميع معانيها ثم العناية بتقصي المعنى الاصلي بدلالة ما عقلية او نقلية والضابط العام الذي قلما يخطىء بهذا السبيل هو ان المعنى الاصلي ينطبق على معاني الفروع ولا ينعكس فاذا سلكنا هذا الطريق في تقصي المعنى الاصيل في ابّ نرى المعاجم نصت على الحركة ونرى الحركة قوام سائر المعاني فلا استعداد ولا تجهز ولا هجوم ولا صياح ولا شهر سلاح دون « حركة » مع ان الحركة يمكن ان تقوم بغير سلاح وهجوم وصياح وتجهز واستعداد، لذلك لم نتردد بان المعنى الاصلي هو «تحرك » للازم من « اب » و« حرك » للمتعدي منها وكل من الف البحث العلمي يسهل عليه تتبع الموضوع .

اما المعاجم الصغيرة الموجزة كمعجم الطالب والمنجد والمعتمد فقد اغفلت المعنى الاصلي بتاتًا وذكرت ما استحسنت من الفروع وكان الاولى بها ايراد المعنى الاصلي وبه الكفاية ولها ذكر ما يروقها من الفروع .

اما المعاجم المستوفاة فان وجب فيها تقصي المعنى الاصلي وايراده فلا يكفي الوقوف عنده بل يجب مواصلة البحث على الخطة ذاتها في ترتيب الفروع فكم من فرع اصبح اصلًا جديدًا تبنى عليه فروع جديدة تبعًا للحاجة فلا بد

من مرافقة الالفاظ بتطورها وتحولها من مدلول سابق الى مدلول لاحق الى ان تستوفي مفردات المادة كلها .

واما « الأباب » فلا يستطيع الخروج على مادته فهو مصدر اب فيجب ان يحتمل معناها ولا عبرة بشروح اللغويين وتفاسيرهم فهي موسومة غالباً بطابع التسامح وعدم الدقة بل العبرة كل العبرة بالنصوص اللغوية الواردة في المتون الموثوقة كالشعر الجاهلي والمخضرم والاموي والنثر الصحيح واعلاه الكتاب الكريم (القرآن) وما صح من نهج البلاغة وامثاله :

واليك البيان : نصت جميع المعاجم ومنها معجم العلائلي في مادة « اب » ان الاباب هو الماء . والسراب ومنهم من قال الماء او السراب الا انهم في مادة « عب » قالوا : العباب شرب الماء . ومنه قولهم : « اذا اصابت الظباء الماء . فلا عباب وان لم تصبه فلا اباب » وشرحوه بقولهم : « اي ان وجدته لم تعب منه وان لم تجده لم تتهيأ لطلبه وشربه » وهو يضرب لمن ظفر بشيء فاعرض عنه استغناء » .

وقد شرح لسان العرب لفظة الاباب في المثل المذكور بقوله : لم تأتب له ولم تتهيأ لطلبه فهذا المثل هو نص لغوي ثقة ردّ اللغويين الى الصواب واجبرهم ان يعطوا « الاباب » معناه الصحيح اي الائتباب او التهيؤ اي الحراك كما رأيت اعلاه ذلك برغم اجماعهم في مادة « اب » على ان الاباب هو الماء والسراب .

وللكابر ان يقول : لماذا لا يكون شرح المثل بالتهيؤ والائتباب هو الخطأ . والاولى شرحه بالماء والسراب فهو ذا الجواب : لو صحّ ان الصواب هو الماء والسراب لبات المثل بلا معنى اذ يكون التأويل اذا اصابت الظباء الماء لا تشرب وان لم تصبه فلا ماء ولا سراب اي لا تشرب ايضاً ! فهل هذا كلام معقول . ولو انه ممكن القبول لما عدل عنه اللغويون الى الائتباب اي التهيؤ او الحراك . والنتيجة ان الاباب لا يمكن ان يطلق على الماء والسراب الا من باب الوصف على ما اثبتناه اعلاه . وفي شروح اللغويين ابهام وتسامح وعدم دقة كأنهم أرادوا ان يقولوا الاباب صفة للماء والسراب فاختصروا وقالوا : الاباب هو الماء والسراب ومثل ذلك كثير .

« الإبّان » : لم نثبته بهذه المادة لان الاشبه به ان يكون من الأبنة ، العقدة في العود ، ومنه قولهم جاء في ابان الرطب والثمار اي وقت خروج الرطب والثمار من أبنتيه

او أبّنه ومنه اطلق على الوقت فقيل اتاني الحر والبرد كما قيل : كنى الواكه في اتاها — ولهذا ورد « اتان » في المعاجم السابقة في مادة (اتن) . واكثر استعماله مضافا كما رأيت الا ان هذا لا يمنع وروده غير مضاف ومنه عن لسان .

ايان نفضي حاجتي ايانا اما ترى لنجحها اتانا

ومن نثر الجاحظ على لسان سادة التبرية قوله « لكل شيء اتان » (كتاب البخلاء قصة اهل البصرة من المسجديين .)

مثال ثان

١) — « ات » — في المعاجم السابقة

« اتّ فلانا » : غته بالكلام ، كبته بالحجة ، داسه ، شدخه .

« اتا في السير » : استقام .

« اتت الماشية ، الشجرة » : غت .

« اتا عليه او به » : وشى به عند السلطان .

« الاتاء » : الناء ، الزبد .

« الإتاوة » الخراج ، الرشوة ، وقيل الرشوة على الماء خاصة .

« الاتاويُّ والاتيُّ » جدول تسوقه وتسهّله الى ارضك السيل الغريب الرحل الغريب .

« الاتو » الطريقة ، الموت ، البلاء ، المرض الشديد ، الشخص العظيم ، العطاء .

« الاتوة » الدفعة . ومنه حديث الزبير كنا نرمي الاتوة والاتوتين ، اي الدفعة والدفعتين ، يريد رمي السهام عن القسي .

« اتاه بأتيه » جاء ، حضر ، عليه الدهر : اهلكه ، الامرَ ، فعله ، على الشيء اقتدره ، الشيء بلغ آخره وسرّ به ، الله لفلان امرَهُ : هياه

« أتى فلان » اشرف عليه العدو .

« اتّى الماء والماء » وجه له مجرى حتى يأتي الى مقره .

« آتى » اعطى ، اليه الشيء ، ساقه ، فلانًا : حازاه ، على الامر : وافقه ، بأتى له الامر : تهيأ وسهلت له طريقه .

« إستأناه » استبطأه .

« الميتاء » التلقاء ، العطاء .

ولا حاجة لاسترعاء انتباه القارئ الى التضارب الظاهر ما بين الكبت بالحجة والدوس والشدخ . وما بين :

اتا في السير استقام ، والاتوة الرشوة والخراج . وما بين .

الاتو الطريقة والموت والبلاء والشخص العظيم والعطاء .

فلننتظر الآن في « المعجم » لعله يجلو الابهام .

بديعية في عيد ميلاد السيد المسيح

للخوري ارسانيوس الفاخوري

للمرحوم الخوري الشاعر ارسانيوس الفاخوري قاضي نصارى جبل لبنان عدة تآليف في اللغة العربية وله ديوان شعر[1] مطول فيه ثلاث بديعيات الاولى في مدح السيد المسيح ووالدته ورسله الاطهار مطبوعة ومشروحة مطلعها :

فحيّ حيّ الجليل الجامع العظم ويت لحم وآلا قد سمت بهم

والثانية في مدح السيد المسيح وامه ورسله وكنيسته مشروحة شرحاً مطولاً مسهباً طبعت ابياتها في شرح مقالات علم الادب للمرحوم العلامة الطيب الاثر الاب لويس شيخو اليسوعي والثالثة لم تزل غير مطبوعة في مدح الطفل الالهي ننشرها في هذا العدد من المشرق بمناسبة تذكار ميلاد السيد المسيح وهي :

الجناس المطلق : للشوق ابكي والرشا يتبسّمُ
بل من لظى وَجْدي وُحودي مُعدمُ

الجناس المُصحّف : والدّمعُ فاض من الندى لكنّهُ
قد غاض من نار بقلبي تُضرمُ

اجناس الملاحق : ولأنّه بالوصل سحّ ولم يَجُدْ
قد سحّ جفني والمدامعُ تَنْدمُ

نوع الاكتفاء : ولو الجَوى هم يكتمون جواهمُ
والدمع يفشي ما بهم يكتمونا[2]

الجناس المركب : يا صاح بِرْ بي نحو ذاك الحمى
بِرْ بي به ثم الهنا والمغنمُ

نوع الاستخدام : وامْدُدْ يَدًا لي كي اليه تقودُني
واسْقِ بها كرمًا فانت المُنعمُ

١) شرح هذا الديوان شرحاً مطولاً وافياً المعلم يوسف الفاخوري حفيد ابن اخي الشاعر القاضي .
٢) اي يكتمون .

الجناس التام : فالراحُ فيه نديرٌ راحَ مسرّةٍ
يُلقى بها عزٌّ أعزُّ واعظمُ

الجناس المدبَّل : فالقلبُ يشكو ثمَّ يشكرُ خلفهُ
واهاً لشاكٍ شاكرٍ يتكلَّمُ

الجناس المقلوب : عن عهده ما حالَ لمَّا لاح من
إعراضهِ ما للفؤادِ يكلَّمُ

الجناس المعنوي : بل كان فيه ابا سعادٍ راسخاً
اذ لا تُزعزعهُ رياحٌ تعدمُ

نوع المطابقة : فالصدُّ أحنى غصنَ قدّي بالاسى
والعطفُ يوليني المنى ويُقدّمُ

ائتلاف اللفظ مع المعنى : كالقوس بل وترٌ وسهمٌ صرتُ من
وَجْدٍ اهاجت قوسهُ والاسهُمُ

نوع الافتنان : ما اقبحَ الصرمَ الذي حرم اللقا
ما أحسن الوصل الذي لا يحرمُ

الجناس اللفظي : فانا الذليل قراهُ اورثني الضنا
وليَ الدليل على الضنا لا يلزمُ

نوع التذليل : بسمَ الحليُّ لدى بكائي انا الشجيّ
إنَّ الحليَّ لدى بكاء يبسمُ

نوع الالتفات : لبكايَ بضحك عازفاً ومغنياً
فاصمُتْ فانك جاهلٌ لا تفهَم

نوع حسن الاتباع : فاعشق وذُقْ طعم الهوى قبلاً وَلُمْ
ما في الهوى من لذّةٍ لا تسلَمُ

نوع التوجيه : فلفعل حبّ جاز رفعاً ذو الهوى
اذ رفعُ فعلٍ فاعلاً يستلزمُ

الجناس المحرّف : وعليَّ في حُكْمٍ بنى حَكَمُ الهوى
اذ لم يُراعِ الحق في ما يحكُمُ

نوع الالتزام : اني لاحكام القضاء سليمٌ
ولسانُ حالي بالهوى متكلّمُ

نوع سلامة الاختراع : أترى أرى هذا الحليَّ بلوعةٍ
والدهرُ يمنعهُ الوصالَ ويصرمُ

نوع النزاهة : نبي التسالُ والإخاءُ لـه مني
فأبيتُ اذ بالصدق لا يتكلمُ

نوع الاستعارة : أنا بعاطني الزمانُ بغصةٍ
كأس المنى وبراحها يتنسمُ

نوع مراعاة النظير : ذيل الهجا قد طولتـه عواذلي
خاطوا رداءَ بالملامةِ سهموا

الجناس الملفّق : ظبيٌ ارى قدمي يسعى في هوا
هُ قد اراق دمي لاني مُغرَمُ

نوع التفضيل : قد افتن العشاق باهي حسنهِ
فالحسنُ فيهِ جوهرٌ لا يُعدَمُ

المدح في معرض الذم : لا عيبَ فيهِ سوى جمالٍ باهرٍ
تُرعَى بهِ الأقمارُ ثمَّ الأنجُمُ

نوع الاستطراد : انوارُهُ كتواظرٍ راقت كما
قد راقَ بدرٌ في ليالٍ تُظلِمُ

نوع الاستدراك : قالوا نرى رميَ السهامِ به فقا
تُ بلى ولكن فيَّ هذي الاسهُمُ

نوع الايداع : فالصبُّ لا يحظى لنيل مراده
« حتى يُراقَ على جوانبه الدمُ »

نوع المراجعة : قال العدوّ أترك هواهُ قلت لا
قال أسلُهُ قلت السلوُّ محرَّمُ

نوع المراجعة : بل انت سالٍ قال لي فاجبتُهُ
فوراً لجسمي واللظى بي تُضرَمُ

نوع المناقضة : اني لأرجعُ عن هواهُ اذا المشـ
ـبُ ألمَّ وعدتُ طفلاً يفطمُ

نوع المقابلة : فالبعدُ عنه منقصٌ ومصيرٌ
والقرب منه مسعدٌ ومغنمُ

نوع رد العجز على الصدر : يستلئمُ الولهان عن شرع الهوى
فينالُ ما يهواهُ مَن يستسلمُ

نوع الهزل الذي يراد به الجد : بردّ حشاكَ بنار عشق قال لي
لما رآني باللظى انضرَمُ

نوع ارسال المثل : مل حد لنفسك ما حسنا فاحبت لا
يعلم لديَّ سوى هواهُ مُطمَّمُ

نوع المواربة : يا عاذلي قف أنت مرءٌ عاقلٌ
واترك ملاماً ثمَّ طمّا يؤلمُ

نوع التعريض : ما أشنعَ العدل الذي لم بأنهِ
لذوي الهوى الا المغالي الأثمُ

نوع تشابه الاطراف : دَعني وشأني انني ذو لوعةٍ
ذو لوعةٍ من شأنهِ لا يسأمُ

نوع التصريع : اني بهِ واضٍ لهُ مستسلمُ
فالذرُّ من كلماتهِ نسحك ينجمُ

نوع التسليم : هَبْ إنني سلمت في ما ترتأي
أفأيُّ بعدٍ ذا ليَ يُندمُ

نوع الاستثناء : فاليَّ أحسنَ كلُّ عالمِ حالتي
ما ساءني إلَّا العذولُ المُجرمُ

نوع المجاراة بعرض المدح : ما ساءهُ أحدٌ اذيَّ وإهانةً
الا ودان له فلا يستقيمُ

نوع الترصيع : وَلَدٌ شهيٌّ ثغرهُ متبسمٌ
وبهِ بهيٌّ قدرهُ متعظمُ

نوع التعريف : وشأ ظريفٌ ظرفهُ هو دائمٌ
والظرف في رشإ يزولُ ويُعدمُ (١)

نوع المماثلة : ببهائهِ متوحّدٌ بطبائعهِ
متكمّلٌ لكمالهِ مستلزمُ

نوع المناسبة : ولطيف جسم لطفهُ مستغربٌ
وظريف شكل ظرفهُ متحكّمُ

نوع العكس : نفس الجمالِ جمالُ نفس مُتيَّمٍ
لكمالِ كلِّ العاشقين مُحتّمُ

نوع القسيط : باهي السنى كلُّ المُنى معطي الهنا
ناني العنا كنز الغنا والمكرمُ

١) أراد به الطفل الالهي .

نوع حصر الجزء واحاقه بالكلي : فهو الضيا والعالمُ الغدقُ والـ
خيراتُ اجمعُ والندى والأنعمُ

نوع الاتباع : طفلٌ وشيخٌ في فعالِ صبائهِ
والكلُّ في امرٍ لهُ مستسلمُ

نوع التشبيه : عيناهُ مثل حمامتين على عجا
ري الماء نحو هيامنا متوسّمُ

نوع التدبيج : خجلٌ حبيبٌ ابيضٌ بل اشقرُ
وبياضهُ لسواد قلب يهدمُ

نوع التجزئة : فؤادهُ متكرّمٌ وضياؤهُ
متضرّمٌ وسخاؤهُ متعظّمُ

نوع ائتلاف اللفظ مع المعنى : خُرطت يداهُ من سبيكة عسجدٍ
في مضجع الغرّين يوماً يضجعُ

نوع التشبيه : تُمكى ضفائرهُ سموف النخل بل
مثل الغرابِ سوادُها المتفحّمُ

نوع اللغز : فرعٌ جا يشفي اصبّ قلبهُ
وعداهُ من تصحيفهِ تتهزّمُ

نوع التسهيل : وبروق منه العينِ مطلعُ فرقهِ
والصبحُ يحلو ثغرهُ اذ يبسمُ

نوع الاقتباس : شفناهُ مرأى تقطرانِ وحلقهُ
حلوٌ يروق العينَ منهُ المبسمُ

نوع التشريع : جاء الى فالليل ماط ازارهُ
وافى الهنا ونأى الشقاء المُسئمُ

الجناس المشتق : في الارض ضاء ضياؤهُ هذا الضيا
وبه استضاء كلُّ الانام وآدمُ

نوع التوشيح : للمشرقين العُرب والعجم الضيا
ء هداهُمُ وعن الضلالة أحجموا

نوع الفرائد : وبه الروضة رنّمت بنشيدها
عِقدَ المديح بدرّ لفظٍ تنظمُ

نوع المبالغة : عقودُ كافورٍ حبيبي عرفهُ
قد عرّف الدنيا وفيهِ تنعّمُ

نوع التعريف : يا روضة فاقت شذًى بهجةً باطـ
ـيب من شذاً منه يتم ويعظُمُ

نوع الاغراق : لو شمّهُ الأعمى لأبصر ناظرًا ـ
والطيبُ منه لكل جرح يَلْتَـمُ

نوع الغلو : فاذا على ميتٍ هبـاهُ تنسمت
فبذا النسيم يكادُ يحيا المُعـدَمُ

نوع التهيم : ظبيٌ حبيبي فهو لي وانا لـهُ
وبنار حبّ في الهوى اتضرّمُ

نوع العقد : أفأين ترقد في الظهيرة قايـلًا
أمْ أين ترعى جائـلًا لا أعلمُ

ائتلاف المعنى مع الوزن : ان المحبـة أضعفتني للنوى
واذابنا شوقي اليـه المُسقِمُ

نوع الاشارة : واذا رأيتم من لـهُ نفسي صبت
فصفوا لهُ ما بي عسى لي يرحمُ

نوع المزاوجة : فاذا الحبيبُ دنا فيشفى ذو الجوى
منهُ الوصالُ بدا فيشفى المُغرمُ

نوع الجمع مع التفريق : وهو الذي للصحب طرًّا مرشدٌ
والنارُ للاعـداء سالٍ مُعدِمُ

نوع تجاهل العارف : أجمالُ وجهٍ ام سنى بدرٍ بدا
منه على أهـل الهوى يتحكّمُ

نوع الايغال : بَدْرٌ بحـل الحب مني مالكٌ
وعلامةُ التمليك فيه توسمُ

نوع التطريز : وبجيد استولى على اجزائه
فندا بجملتهِ لهُ لا يُقسمُ

نوع التورية : لوصاله اهوى البكا وفنـاء عن
نفسي لهُ مالٍ ما به انكرّمُ

نوع التوشيح : ولهُ نثرت الدمع السخيّ تشوّقًا
دُرًّا وفي سلك الهوى له انظمُ

نوع الاتفاق : فهوَ المسيحُ الناصريُّ المشتهى
والنصرُ يُرْقى من اليه يقدُمُ

نوع الايجاز : ختم النبيئة شرعه وبجيئه
والانبياء فقولهم هو ختمُ

نوع التكميل : حملٌ فدى كل الانام سيذبحه
فسما حنوًّا والفدا ذاك الدمُ

نوع التتميم : قد مات طوعاً بالصليب سلفاً
ونجا بذاك الموت حقًّا آدمُ

نوع المنوان : وبفصحه غبت الانام كما غبا
في فصح موسى شعبُه المتظلمُ

نوع المساواة : بقيامه وصعوده فتح السما
لاهرته للمعجزات مشمّمُ

نوع التوزيع : انامهُ عمَّ الفداة معزّيًا
وجميعهم عادوا بزرٍ يعظُمُ

نوع المختلف والمؤتلف : ساوى الملائك بالطهارة والسنى
وعليهم بكرامة متقدّمُ

نوع العطف : مولًى تبيّن من ابيه حاكماً
للناس اجمعهم يدينُ ويحكُمُ

نوع ائتلاف المعنى مع المعنى : قاس رحيم في القضا ينسو على آ
ثاره أما التائبين فيرحمُ

نوع تشبيه شيئين بشيئين : منه ندى عمَّ الأنام بأسرهم
كالسيل والمزن الندى والمبصمُ

نوع الترتيب : بالأمس ثم اليوم ثم غدٍ ندا
ه فائضٌ ابدًا لهمُ لا يُحسَمُ

نوع الجمع : فالحلمُ والاشفاقُ والغفرانُ سِرْ
حمهُ به فيناله من يندمُ

نوع الطاعة والعصيان : كم يرحمُ الصدّيقَ حين بلائه
والمعتدي من رحمة كم يعدمُ

نوع المشاكلة : يجزي الفضيل بفضله ثم الـ
أثيم باثمه يوماً بحكم يجزمُ

نوع الثلب : لا يمنعُ الباغي الفضيل وصالهُ
بل يمنعُ الباغي المديَّ ويصرمُ

نوع حسن النسق : لشارٍ هادٍ والخوارج مبتلٍ
والحلّ مغنٍ والمعادي مُحرمُ

نوع نفي الشيء بايجابه : مالمنّ قطعاً لا يشين نواله
بل من زحام عفافهِ لا يسأمُ

نوع المجاز : كفٌّ واعطاء وجودٌ فائقٌ
بحرٌ وامواجٌ وسيل منعمُ

نوع الطي والنشر : يا سائلين استعطفوه بأمهِ
بجرى الندى وبها تُرانُ وتُرحمُ

نوع الترديد : فهي الشفيعةُ والمحبَّة والرجا
والخيرُ والانعامُ ثمَّ المغنمُ

نوع الكناية : احياها عمَّ البرايا كلّها
ابواجها من قاصديها تُرحمُ

الجناس الملفّع : يا عاشقين هي الشفاء لجرحكم
وطلا هواها حسوهُ هو سمُّهُ

نوع الامّاج : فابغوا الشفا والدمع جارٍ فوقَ خـ
ـدٍّ عسجديٍّ فيه لون عندمُ

نوع التكرار : هيهات هيهاتِ الشفا والدمعُ لم
يذرفه جفن بالبكا يتكلّمُ

نوع الاشتراك : حتفاً بماء العين نيلٌ للاما
في عينُ رحمتها وفيها تعظُمُ

نوع الاستتباع : تسمو باحسانٍ سموَّ نروفٍ
وتميث عبداً في حماها يخدمُ

نوع التفويف : فتقدّموا وتلطّفوا وتوسّلوا
واستعطفوا واستغفروا واسترحموا

نوع براعة الطلب : يا ربِّ نفسي انما في حاجةٍ
فسخاك في حاجاتها هو أعلمُ

نوع التحريك : بلوايَ شدّت إزرَ مَن حاقني
نعماك حلت طعمهُ يا منعمُ

نوع الاستعطاف : فالبدرُ من انوار وجهك اهدني
سُبُلَ الخلاص ايا سراجاً نضرمُ

نوع حسن البيان : اني الى صلة لاحوجُ كمن هفا
عدْني وصلني يا سخياً يكرمُ

نوع السهولة : ولك الثنا والشكر من كل الورى
والحمدُ يهدي القلبُ مني والنمُ

نوع الاحتراس : واليك خذني غير مأمورٍ وفي
ربع الملا الباهي بمدْرك أخدُمُ

نوع الترشيح : والدُرْ انظُمْهُ به للمدْح في
عُلياك والنمُ بالفريض يُدمْدمُ

نوع التهذيب والتأديب : يشدو به شعر الملاك مُجرياً
صوتاً رخيماً بالمديح يُتمّمُ

نوع الايضاح : ويروقُ مَدْحُ بلابلٍ في عرشه
فيشيد تسبيح بلفظٍ ينظُمُ

نوع البسط : وعلى ستر الرحمة أسدل منعماً
ولك الثنا ومن البلايا أسلمُ

نوع حسن المتام : حسن المتام انا الرقيق فارتجي
أنعمْ به يا خيرَ مولى يُنعمُ

الاب اسحق ارملة السرياني

١٨٧٩ - ١٩٥٤

بقلم الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

في شهر شباط الفائت توارى وجه المستشرق الكبير حبيب زيات تاركاً وراءه فراغاً عظيماً في دراسات تاريخ الشرق المسيحي الاسلامي . وفي ايلول من هذه السنة نفسها وارى الثرى عالماً اخر تاركاً بعده ثلمة كبرى في دراسات الادب والتاريخ السرياني ، الا وهو المرحوم الاب اسحق ارملة الذي ما برحت ابتسامته منطبعة في ذاكرة الذين عرفوه وغرفوا من بحر علمه الزاخر وكان ذلك العلامة يقوم بخدماته صامتاً ولفظ انفاسه ذات صبح من اصباح ايلول وكان وحده مع ربه الذي دافع عنه بجرأة وحزم كما سيرّ بنا .

ومما تميز به الاب ارملة في اثناء اضطلاعه بوظيفته الكهنوتية ذلك الوجدان وتلك اليقظة المستمرة لكهنوته . فانه كان كاهناً طوال ايام مهنته . ولقد رسخته بحوثه التي قام بها في ذلك الوجدان بدلاً من ان تقصيه عنه .

وان انسَ فلن انسى زيارتي له وهو على سرير مرضه تمضه اشد الاوجاع ومع ذلك كانت سمات الارتياح والاطمئنان بادية على محيّاه الذي لم ينتزع طلاقته منتزع لانه كان يحيا في ابدية الانسان الذي خدم ربه باستقامة وبدون تهاون وانتظر شاهدته التي لا نهاية لها .

٥

لئن تصفّحنا فهرست ما كتبه الاب ارملة لاستولت علينا الدهشة للعمل العظيم الذي جاء به ذلك العلّامة الصامت الرزين . واذ كان مؤرخاً لامته ولبعض الاسر والاشخاص الذين اشتهروا بعلمهم وحسن سلوكهم وفضلهم على الامة السريانية ، واذ كان لاهوتياً بارعاً وعالماً لغوياً لم يستعصِ عليه حلّ مشكلة عويصة بدون ان يجد لها حلّا يذلّل صعوبتها في لغته السريانية ، واذ كان عالماً يوضح صحة العقائد الدينية ، واذ كان محامياً عن الحقيقة مخلصاً فقد اظهر في جميع ميادين اعماله العلمية هذه مقدرة لا تفاوت فيها ، ولقد اتصل بي أنه كان يحسن الكتابة بكلتا يديه ، فرأيت في هذه السهولة رمزاً الى انشغافه بالتأليف

ورمزاً ليضع في خدمة الحقيقة تامه وعلمه لانه رأى ان اليد الواحدة لا تكفيه وحدها لذلك . . .

وما اكثر ما خطه يراع المرحوم الاب ارملة. اما اذا المحت الى ما نشره في المشرق فلا يسعني الا ان امتدح، فضلاً عن تعدد موضوعاته، المقدرة التي كان يقبض بها على ناصيتها قبضاً كان اذا عالج منه احدها فصل في خطته لمحدثه . اما اذا رأيناه يكثر من الاستناد الى الاستشهاد ولا سيما الاستشهاد ، المستمد من المصادر السريانية، فلانه كان واثقاً بان الخطى التي كان يخطوها مؤدية به الى الحقيقة التي نذر نفسه ان يكون خادمها الامين .

وكتابات الاب ارملة التي يسودها الروح التاريخية كان لا يُبدي فيها رأياً بدون ان يسنده الى الشواهد ويرجعه الى المصادر التي عرف منها بموجب طريقته الدقيقة التي يقتضيها التاريخ .

وما عدا هذه المقالات التي اتحدث عنها ثمة غيرها في مستوى جمهور اكبر لان الاب ارملة كان يريد ابلاغ الحقيقة التي استهوته وتعطش اليها . اما مؤلفاته التي تعد مآثر حقيقية ومفخرة للامة السريانية التي خدمها بتجرد واخلاص فاني لا اود الامام الا الى اثنين منها كانا ايضاحين لمنهجه يكفيان للحكم له او عليه ، وهما تاريخ دير الشرفة وعقيدة الرياسة البابوية بحسب اقوال المؤلفين السريان. اما طريقته فانه لم يكن يحب الاسهاب في التوسع النظري بل كان يقدس الواقع والضبط في التفصيل والمعنى اللذين يعاشيان الزمان والمكان .

ولئن اوضح الاب ارملة العقائد الدينية فاننا لنشعر به انه اصبح في المناضلة عن تلك العقائد رجلاً غير ما هو عليه عادة، ولاسيما عندما يناضل عن الدين القويم ضد بعض تهجمات اليعقوبيين . وانني اود ان اتحدث خاصة عن مؤلفه « كتاب الرحمة » الذي خاصم فيه ذلك الذي كان له ان يصبح يوماً رئيس طائفة السريان الارثوذكس، غبطة البطريرك برصوم ، فناقشه الحساب .

وان اذكر فاني لذاكر تلك الحملة الشعواء بصدد زنّار المذراء في جريدة البيرق البيروتية . ولم تكن حملة بدون اساس . فكان يطيب للاب ارملة ان يلاحق خصمه حتى في عقر داره محاولاً ان يحمله على مناقضة نفسه بنفسه وان يبيّن له النصوص التي لم يحسن قراءتها والذرائع التي فسّرها تفسيراً

خاطئاً . مما لفته فكنا نحسها من الموضوع الذي كان يعالجه، فهي واضحة في بيانه وتركيبه بحت لتصبح شديدة الاسر وحتى حادة اللهجة في الخصام . وانه لم يخرج قط عن حدود اللياقة في كتاباته . ولذلك كان لا بد لكل خصم من التفكير الطويل قبل ان يقيس نفسه بذلك العالم الوضيع الذي كان ينشب كالاسد للقتال وللذود عن العلم الصحيح والعقيدة الصادقة .

ومن الاسباب التي مكنت للاب ارملة ان يصل الى تلك الدقة اشتغاله الطويل في ميادين لها اهميتها الرئيسية في سبيل الوصول الى منهج علمي وان لم تكن ذات رهجة . فاني اتكلم عن الفهرست الذي وضعه لمخطوطات دير الشرفة ونرى فيه طول اناة الباحث ذي العلم الواسع (وكنا هنا نود ان يكون ابلغ ضبطاً ، بيد انه لن يقدّر لاحد من المرة الاولى ان يصل الى اتقان احد المناهج) .

واذا لم اتحدث بعد عن الترجمات الكبيرة الاهمية التي عانها الاب ارملة فلأن تاريخ الازمنة لابن العبري الذي نشره على صفحات هذه المجلة كاف ليبين لنا قيمة لغته وصفاء ترجمته . وانا لنستبيح القراء بان نطيل الكلام حول مؤلف يكاد يطيسه الصمت وذلك لكي لا نتكلم عن غيره . فان لغته فيها واضحة عادة، ولكنها تصبح مفعمة برغبته في ان يحاكي النص الاصلي ، وما ذلك الا لانه كان المترجم الماهر الذي كان انشاؤه ينطبق تماماً على فكرة المؤلف وتصوراته .

٥

لقد اردت ان ابين بصورة عامة نفسية ذلك العلامة الذي طواه الردى . ولماذا نبكت في مثل هذا المقام عن المؤلفات التي كان اعدها للطبع ولم يستطع لسبب من الاسباب ان ينشرها . فثمة اثنا عشر مؤلفاً وكلها ذات قيمة، من بينها تاريخ الدول الارامية السريانية وتاريخ الكنيسة السريانية واخر على القداس وغيرها كتب اخرى لها اهميتها ولا مجال لذكرها هنا .

ويشوقني ان المع فقط الى غزارة معارفه في اللغة السريانية والخدمات التي استطاع ان يسديها بسبب ذلك لانه لم يكن يفوته منها سر من اسرارها وكان يحب ان يجد آثارها في اللغات الاخرى او في المؤلفات الدينية المدونة باللغة العربية .

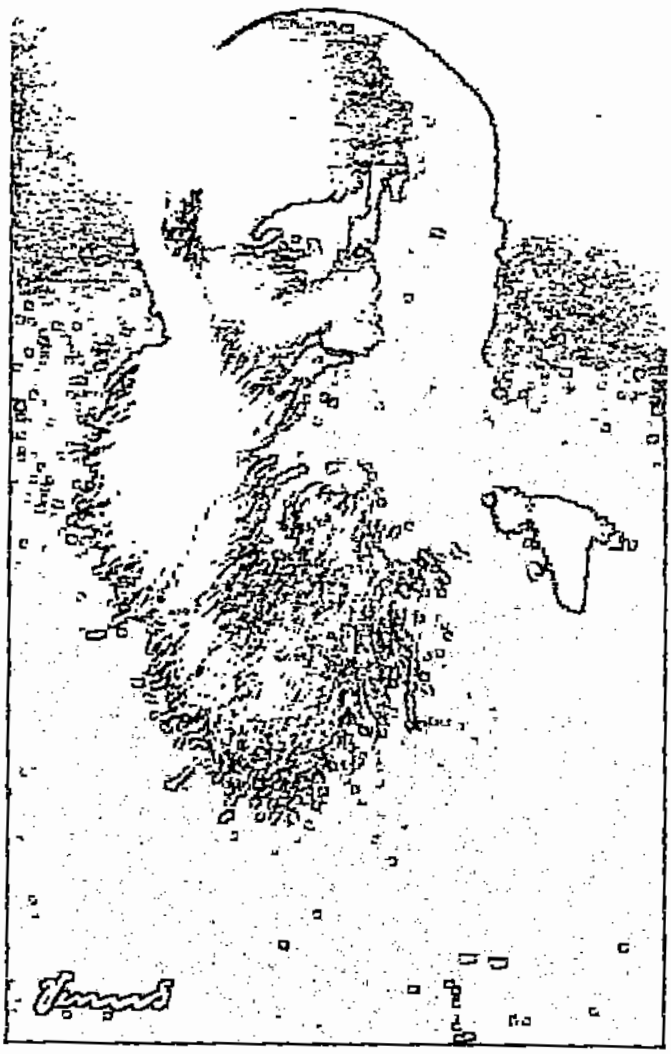

الأب اسكو ارملة السرياني

١٩٤٤ - ١٨٧٩

ولقد تمكن من الوصول الى بيان التأثير العريق في القدم وهو التأثير الذي احدثته هذه اللغة في تكوين اللغة العربية وتكوين المفكرين الدينيين والفلاسفة الذين كتبوا بالعربية .

٥

ليس بمقدوري ان اختم حديثي هذا بدون ان أرويَ هنا حادثة شخصية . فقد وضع الاب ارملة كتابه بصدد القديس افرام ورفعه بواسطة سيادة المطران حيقاري الى الحبر الاعظم الذي تلقى منه كلمة تقريظ بليغة على مزايا تنظيم الكتاب وعلم المؤلف الذين دلّ عليهما. ولقد جئته بعد ذلك طالباً اليه مقالاً حول عقيدة الحبل بلا دنس عند الطائفة السريانية فبشّ لي مرتاحاً فشكرته فقال لي فوراً : من واجبي انا ان اشكرك لانك افسحت امامي المجال لاتكلم على العذراء. كلاماً لن ارى اعذب منه على قلبي لذلك ستكون مقالتي هذه خير ما استطعت ان اكتبه طوال ايام حياتي لاني اكتبها لتمجيد امي العذراء. فانا اتمنى ان اودع هذا المقال كل محبتي البنوية لمريم .

ولقد كان ذلك العلّامة مسيحياً حقيقياً وكاهناً بالكمال. ما لهذه الكلمة من معنى . واذا كان صحيحاً ان الكثير من العلم يدنينا من الله والقليل منه يبعدنا عنه فيسعنا القول اذاً ان الاب ارملة قد لقي بعلمه الغزير طريقاً الى الله الذي اراد ان يخدمه طوال ايام حياته .

التآليف التي وفقته العناية الربانية ان ينشرها بالطبع وهذه لائحتها :

١ رغبة الاحداث : في جزئين .
٢ الزهرة الزكية في البطريركية السريانية الانطاكية .
٣ ازجمة في تنفيذ « كلمة انتقادية » .
٤ ادبار ماردن القديمة ودير مار افرام .
٥ سياحة في طور عبدين سنة ١٩١٣ .
٦ التذكار المئيني لوفاة السيد اغناطيوس انطون سحيري .
٧ الفصاري في نكبات النصارى .
٨ طرفة من اخبار دير الشرفة .
٩ اليونان وكتبة السريان .
١٠ الاصول الابتدائية في نحو اللغة السريانية في جزئين .
١١ سلسلة بطاركة السريان الانطاكيين .
١٢ ابناء الرفقان في جثالقة المشرق ومقارنة السريان .
١٣ بحث تاريخي عن السريان في القطر المصري .
١٤ القنصلية الفرنساوية والطائفة السريانية في بغداد
١٥ الحروب الصليبية في الاثار السريانية .
١٦ رسائل بركيلو وبرشفاتو وداود بين ربان « في السريانية » .

١٧ سلوى الراندين في امثال ماردين .
١٨ التكريمات المريمية في الكنيسة السريانية .
١٩ لمحة في المنظومات والاغاني السريانية .
٢٠ لوعة القاصي والداني على البطريرك اغناطيوس افرام رحماني .
٢١ البطريرك الجديد – مار اغناطيوس جبرائيل الاول تبوني .
٢٢ فرنسيس شيحا واخبار امرته السريانية .
٢٣ السريان في قبرس .
٢٤ الرئاسة البابوية في الكنيسة السريانية .
٢٥ الرتب الكهنوتية في الطائفتين المارونية والسريانية .
٢٦ خراب ايلون (معرب عن السريانية) .
٢٧ الرهبنة البندكتية في فلسطين .
٢٨ اجمل زهرة في حديقة ال « عبرا » .
٢٩ رحلة المونسنيور فرنسيس بيطط الى بلاد ارمينيا والعجم .
٣٠ الملك اللبناني الامير بشير الشهابي الثاني .
٣١ وثائق خطية في علاقة ال طرازي بالملة السريانية .
٣٢ فهرس مخطوطات دير الشرفة .
٣٣ الملكيون – بطاركتهم الانطاكية .
٣٤ القرى السريانية في لبنان وسوريا والخليل .
٣٥ اثار فرنسا ومآثرها في لبنان وسوريا .
٣٦ مار يعقوب السروجي الملفان – بحث انتقادي تاريخي ديني .
٣٧ نصارى غسان والسريان .
٣٨ اسرة ال طرازي .
٣٩ تاريخ دير سيدة النجاة اي دير الشرفة .
٤٠ خلاصة اخبار القديس يوحنا بسكو .
٤١ خادم الرب الامين الخوري افرام احمر دقنه .
٤٢ ترجمة ابن العبري تاريخ الكنيسة .
٤٣ مار افرام السرياني .
٤٤ تنقيح وطبع الكتاب المقدس بالنيابة عن مطران جبنان قلبان .
٤٥ الحق منضبة .
٤٦ الطوباوي دومنيك سافيو .
٤٧ تاريخ ابن العبري (المشرق) .
٤٨ ترجمة الاناجيل (الاربعة) عن (الفشيطة) نسختين .
٤٩ مار افرام السرياني ملفان الكنيسة الجامعة .
٥٠ مقال عن العذراء في المشرق .

ولقبهم الوطنية والعنصرية

الكتب التي صنّفها ولم يتيسّر له نشرها بالطبع :

١ تاريخ الدول الارامية السريانية في نحو ٥٠٠ صفحة .
٢ تاريخ الكنيسة السريانية .
٣ القداس السرياني في ٣٠٠ صفحة .
٤ كتاب ضخم بالغرائب للعذراء وبعض زيارات الغربان .
٥ ترجمة حسامات الصوم الاربعيني واسبوع الالام .
٦ مختصر اخبار العهد العتيق في السريانية (مصوّر) .
٧ حقائق تاريخية عن اسرة شيحا السريانية .
٨ لمحة تاريخية عن اسرة هندي الحلبية .
٩ عقد اللآل في شجرة آل قتّال .
١٠ ال ابرهيمشاه في التاريخ .
١١ سير القديس بوليان الشيخ صاحب الغربان
١٢ عقد اللآل في شجرة ال كفوري .

هذا عدا مقالات نشرها في مجلة المشرق وفي البشير وفي مجلة الآثار الشرقية مجلة الحب والسلام ورسالة العمال ورسالة قلب يسوع الاقدس الخ.

مؤتمر المستشرقين الدولي الثالث والعشرون

بقلم الاب ا. عبده خليفه اليسوعي

عقب انتهاء مؤتمر المستشرقين الدولي الثاني والعشرين الذي انعقد في اسطنبول سنة ١٩٥١ ، تقرر عقد المؤتمر التالي في مدينة كمبريدج الجامعية المقدسة الارجاء لاستيعاب الذين دعتهم الجمعية الملكية الاسيوية من الباحثين في العلوم المشرقية كدراسة عصور ما قبل التاريخ والدينين المسيحي والاسلامي .

وكان لا بدّ من مدينة كمبريدج الهادئة الصافية الاديم القائمة في قلب اخضرار سندسي ويشقها نهر كام « Cam » الكبير من ان تستأنف في الحادي والعشرين من آب الماضي لا حياتها فقط بل من ان تعود اشدّ صخباً واعظم حركة لان عدد المشتركين بالمؤتمر كان بين تسعمئة او الف شخص .

وشهدنا في هذه المدينة الجامعية اوروبيين واميركيين واسيويين كانت بينهم البعثة الروسية التي لم يكن عددها بالقليل ، كما رأينا بعثتي الشرق الاقصى وافريقية . وسمعنا لغات عديدة ووقع منا النظر — الى جانب اللحى البيضاء — على فتيان وشبّان من المستشرقين الذين اثاروا اهتمامنا بحيويتهم واتساع نظرهم بعد ان جاءوا يشقّون طرقات جديدة في الاستشراق او يتممون التقاليد السابقة في اتجاهها نفسه .

وضمت جلسة افتتاح المؤتمر التي انعقدت في مجلس شيوخ مدينة كمبريدج جميع الموفدين اليه ، وبعد ان سلّم رئيس المؤتمر السابق السيد ز. ف. توكان (Z. V. Togan) صلاحياته الى خلفه السيد رالف تُرنر (Ralph Turner) رحّب الرئيس بجميع العلماء الذين اقبلوا الى المؤتمر ليستأنفوا اتصالاتهم وينجزوا معاً نتيجة اعمالهم. وما كان من رئيس البعثة الروسية الّا ان وقف وخطب بالجمهور ، دالّاً بذلك على وجود روسية وبعثتها في المؤتمر مما ادهش الانكليز ، اذ انهم لم يكونوا بانتظارهم . وكان مسك الختام لجلالة الملكة اذ تُليت على الحاضرين برقية ملوكية تهنئهم بالمجيء وتتمنى لهم النجاح .

واذ كان قد مرّ ثلاث سنوات على انعقاد المؤتمر السادس كان لا بدّ من تجديد اواصر الصداقة والعمل على تعزيزها طوال مدّة المؤتمر الحالي وذلك بسبب تقسيم رجاله الى فرق فرق مؤلفة كلّ منها من مئتين او ثلاثمئة شخص، اقامت كلّ منها في كلية من كليات كمبريدج بحيث اتيح لنا ان يرى بعضنا بعضاً في معظم اوقاتنا نتحدّث في شتّى الموضوعات التي هي من اختصاص احدهم او غيره. فكنا ننتقل من الدراسة اللغوية الى الصوفية الاسلامية فالى مختلف الفروع المتصلة ببلاد الحبشة في تطوّرها فالى الادب الاسلامي الخ..

ولمّا كان اليوم التالي لافتتاح المؤتمر يوم احد وهو عطلة، هرع المؤتمرون الى التعرّف الى المدينة قبل ان يضطرّوا للانشغال باجتماعاتهم. فكنا نراهم يطوفون شوارعها محدّقين بكلّ جديد فيها. فزاروا كنائسها القديمة التي حوّلها البروتستنت الى معابد كما زاروا متاحف كمبريدج ومفاخرها من المعاهد. ويوم الاثنين التالي، وعند الساعة الثامنة والدقيقة الثلاثين، بدأت اجتماعات المؤتمر العملية لتستمرّ حتى يوم الجمعة.

ومن اشهر اسماء الذين كانوا في فرع دراسة الآثار المصرية القديمة اسم ب. مونته (P. Montet) وكونتز (C. Kuentz) وا. بدوي وب. ه. ستريكر (B. H. Stricker) وج. لكلان (J. Leclant) الذين استردّت مصر القديمة حياتها في محاضراتهم، فنرى كيف تعيد الكتابات الاثرية الحياة لنا. قديم سكتت عنه الايام الغابرة فيرقص امامك ضاحكاً فتياً.

ودراسة معجمية الالفاظ احتفظ بها لفرقة الدراسات السامية التي كانت ضماناً لنجاحها شهرة البرايت (Albright) ودوفيليه (Dauvillier) (الذي لم يستطع حضور المؤتمر) والعالمين ريكمنس (Rykmans) وميلاس فيليكروزا وكريمر (Kreamer) (وهو المستشرق الفتي المفعم حيوية واقتداراً) وه. فلايش (H. Fleisch) ولسلو (Leslau) (الذي لم يتمكن من الحضور) وموسكاتي. ولقد اجتذب هذا الفرع من الدراسات عدداً كبيراً اليه فكانت مناقشاته متتالية. وكنا نشهد مبلغ الحماسة في صدور المستشرقين لدراسة تأصيل الالفاظ العربية سواء أكان ذلك من حيث تطوّر المباني ام من حيث المقارنة التي ينبغي اقامتها بين مختلف اللغات السامية. فعرض الاستاذ كريمر المُعنَى بدراسة

شتى معجميات الالفاظ دراسة على مجموعها سيطلع على ملخصها قراء الشرق في اعدادنا القريبة . اما دراسات المستشرقين ريكمنس ذوي الاطلاع الواسع الدقيق لنقوش سابا الحجرية القديمة المكتشفة سنة ١٩٥١ — ١٩٥٢ فكان لها وقع شديد في نفوسنا . وتكلم المستشرق هـ. فليش على لهجة معاصر بيت الدين اللبنانية .

ولقد دلّت جميع هذه الدراسات على رغبة شديدة في التنقيب .

اما الفريق الذي عُني بدراسة الاثار الآشورية القديمة ودارسي ايران وارمينيا فقد كان اقبال المستمعين عظيماً عليهم بسبب شهرة الاختصاصيين شيفر (Scheaifer) ومينورسكي (Minorski) واحمد اتش (A. Ates) .

وجعلت البعثة السوفياتية وجهة لفرع الدراسات الالتائية (لغة سكان سلسلة جبال التاي في آسيا الوسطى) بيد اننا كنا نحسّ التحيّز في مآتيهم لانهم اوّلوا التاريخ وفق ارائهم وبحسب التطوّر التاريخي الديالكتيكي . وقد برهنوا عن تعصّب فكري اذ كان في رأيهم ان على التاريخ والحوادث التاريخية ان ترضخ لتأويلهم . فلم ينجحوا . اما بحوثهم فكانت باللغة الروسية ومع ذلك كان بالاستطاعة متابعة افكارها الرئيسية في ترجماتها الانكليزية التي وزعت بسخاء على المؤتمرين الذين رغبوا في الاطلاع عليها . اما ما تصدوا اليه من معلومات فكان بادي التحيّز وقائماً ، كما تقدمنا ، على اعتباطية فلسفية ، مما جعل معلوماتهم تفقد شيئاً من قيمتها العلمية .

اما فرع دراسات اللغة التركية القديمة فكانت شهرة المستشرقين تشنر (Teaschner) وتوكان (Togan) ودُني (Deny) ضماناً حقيقياً لانجاحها . اما الموضوعات التي عُولجت في هذا الفرع فكانت تاريخية بوجه اخصّ . بينما فرعا الهند والشرق الاقصى تناولا البحوث التاريخية وعلم الآثار والدين والرياضيات وكثيراً من الموضوعات الاخرى . وكان الحاضرون يدوّنون الاسترسال في المناقشات والاستزادة من اشباعها اذ اثيرت فيها القضايا والعلاقات والصلات الثقافية الرئيسية حول تطوّر الفكر الانساني فتناولت السنسكريتية وبوذا وامر الخلاص والتجدّد في الادب الياباني الخ. وهي مظاهر مختلفة تفضي بها كفاءة مشتركة وبحوث دقيقة الى نتيجة حسنة .

وطوال مدة المؤتمر قد لفت انتباهنا الفرع الاسلامي الذي ساهمنا فيه وكان منقسما الى قسمين : الاول للعناية بالادب اجمالاً والثاني بالتاريخ والدين . اما الاعمال جميعا فسادها النظام واما المباحثات فكانت مثمرة .

والذي افضى الى نجاح هـذا الفرع نجاحاً باهراً هو شهرة الاختصاصيين خلف الله (Khalafallah) وكوبنتز وصلاح المنجد وتيراس وثبيت (Wiet) وروزنتال (Rosenthol) وغبريالي (Gabrieli) وفون كرنبوم (Von Grunebaum) وماسه (Massé) وماسينيون وكارده (Gardet) وسارنلي (Sarnelli) وزياده وادريس وبلسنر (Plessner) . ولا يفوتنا هنا ان نشير الى عدد المستشرقين الالمان الذين كانوا محطاً للانظار لنذكر من بينهم ديتريش (Dietrich) وبارت (Paret) وغيرهما . اما الموضوعات التي عالجوها فتناولت جميع فروع العلوم الاسلامية ، كعلم الاثار وقصر الحمراء في غرناطة والشعر وتصوف ابن العربي والمحاسبي ودراسة اللهجات وتاريخ المدن والاقوام والفن . وعُني المستشرق روزنتال ببحث صلات التاريخ بالفلسفة عند ابن خلدون . وعالج المستشرق ماسينيون موضوع العاطفة الدينية بالاستناد الى دور فاطمة في الشيعة .

ولولا ادخال احدهم بعض النيات السياسية في النطاق العلمي لانتظمت جميع المباحث على خيرما يرام . فقد اراد بعضهم ان يتناول بالبحث تطور مفهوم « الاسلام » مقتصراً على الكلام من ناحية تأصيل الالفاظ جازماً بحكم خاطئ سلفاً ان التأصيل لم يكن له معنى ولا قيمة دينية في فكرة محمد . فاستدام الجدل وتعقدت المناقشات . اما الخطيب الذي كان يهودياً فأصر خطاء على وجهة نظره مما دعاني الى استئناف النظر في الامر مع المحاضر لكنه رد علي محاضرته بدون ان يضيف اليها اصلاحاً ولو جزئياً .

ولم تكن المناقشة التي عقبت محاضرة السيد كارده باقل احتداماً . اما الانسة دالفرني (D'Alverny) فلم تجد صعوبة في ايضاحها ان لغة المحاضرة قد ضلت منحرفة عن الطريق السوي ، اذ ان المحاضر استعمل لغة بعيدة عن كلام فيلسوف من فلاسفة العصور الوسطى وقد بات يجزم بان ابن سينا كان من العقليين الذين لم تتأثر نفسهم بوجهة نظر انسانية ودينية .

وتفادياً عن التطويل اذا شئنا ان نتصدى لذكر شتى ضروب الجدل اكتفينا

بالاشارة الى فكرة ذلك الاجتماع العامة الذي التقى فيه عدد كبير من اولي الكفاءات الثقات .

وختاماً نرانا لا مندوحة لنا عن قول كلمة حول الفرعين اللذين عنيا بامر الشرق المسيحي وافريقيا لاشير الى محاضرة السيدة ن. ف. بيكولفسكايا (N. V. Pigulevskaya) التي حدثتنا عن فقرات من الزبور في اليونانية السريانية والعربية حديثاً شيقاً جداً وان تطلب مزيداً من التنقيب لتقرير قيمته وتحديد فحواه .

فماذا نستنتج ؟

ان الدراسات الاسلامية الشرقية عامة هي بتقدم مستمر . اما الحقول المدونة والحقول التي ما برحت تفتقر الى التدوين فما زالت واسعة جداً الاتساع تماً نرغب معه بان يتفرغ عدد كبير من الاختصاصيين لسد هذه الثلمة .

واذا قصرنا كلامنا على النطاق الاسلامي وحده فلان ثمة مخطوطات عديدة ومؤلفات لكبار العلماء ما برحت مفقودة ولم تنشره لكننا متى رأينا عالم الهيآت الاشعري يصدر ومعه تفسير مكين وعرفنا ان هناك مؤلفات اخرى اخذ المستشرقون يتأهبون لاصدارها فمن الواضح اننا سنكون شديدي الاغتباط بمجرد تفكيرنا بان ميدان المجهول يتضاءل في هذه النواحي . ومع ذلك فان هذا لن يكفي وانا من الواجب ان نقوى على ولوج بعض النقاط التي ما برحت بعيدة المنال لنخرج بثروة منها الثروات التي تخوّل الباحثين ان يطلعوا غيرهم على جوهر المعضلات الحقيقية ، اذ علينا ان نؤمن مسبقاً بفائدة مثل هذه المآتي وان لم يكن الا لتقدم الفكر الانساني .

L'IMMACULÉE CONCEPTION DANS LA TRADITION ORIENTALE (depuis le M.-A.)

d'après le R.P. JUGIE A. A.
par le P. FERNAND DE LANVERSIN S. J.

Ce n'est que vers 1325, constations-nous dans un premier article (1), que pour la première fois un doute positif se fait jour chez un théologien oriental touchant l'Immaculée Conception.

Jusque là la question n'est pas posée en sa forme explicite: exclusion du péché originel; mais sous forme positive est affirmée la parfaite pureté de la Vierge, qui est toute nouveauté, re-commencement dans l'histoire de notre race.

L'émulation universelle à signaler ce cas unique, à lui trouver de nouveaux titres nous a paru réponse suffisante à la claire question posée en Occident.

C'est sans doute que dans les « Sentences » et les « Sommes » de l'époque la doctrine du péché et de la grâce tenait une place de première importance, la Mariologie y faisant, nous semble-t-il, plutôt figure d'annexe. Solidement ancrés en leurs positions touchant la chûte d'Adam et l'universalité de ses conséquences les docteurs ne voyaient pas jour à exception; et à la question des fidèles ou plutôt à leur réponse instinctive touchant la Mère de Dieu, opposaient l'inflexible rigueur de la loi: de parents contaminés ne peut naître par voie normale de génération qu'une descendance contaminée.

C'est l'inverse en Orient. La doctrine du péché originel n'y est pas inconnue: les textes sont là, très heureusement rappelés par le Père Jugie en ses *Questions préliminaires*. Mais elle ne fait pas partie, semble-t-il, ou du moins pas aussi profondément de la substance de l'enseignement traditionnel. La Mariologie au contraire tient depuis Éphèse une place de premier rang dans la théologie comme dans la vie chrétienne, ajoutons: comme dans la vie de la cité et de l'empire. Nous avons dit la rapide propagation des fêtes mariales qui dès le règne de Justinien font partie de la vie de la nation. Telle fresque célèbre de

(1) Cf. Al-Machriq, 48 (1954), mai-juin.

la Théotocos portant son Fils comme en médaillon sur sa poitrine et, du haut de la gloire, couronnant le basileus Manuel et sa femme est également bien parlante.

A part le *de fide orthodoxa* de St. Jean Damascène les traités méthodiques complets de théologie sont rares chez les anciens Orientaux. A en juger par leurs œuvres leurs préoccupations vont surtout, à la suite de S. Cyrille d'Alexandrie, vers le côté positif de la grâce et de l'œuvre de Jésus-Christ: grâce habituelle, divinisation du chrétien et conformation au Christ Jésus. Ils y marquent de bonne heure la place prépondérante, unique, de la Mère de Dieu. Nous en avons entrevu l'expression chez les Théologiens du VI^e^ au XII^e^ siècle.

Leurs successeurs du XIV^e^ et XV^e^ vont développer cette vue.

C'est pour la théologie orientale une belle période que ces deux siècles.

Le chapitre que lui consacre le Père Jugie s'ouvre sur Nicéphore Calliste (vers 1325) dont nous avons signalé le doute, presqu'aussitôt, semble-t-il, rétracté.

Parmi les auteurs qui suivent les plus célèbres sont sans doute: Grégoire Palamas († 1359) et Nicolas Cabasilas († 1396), avec Georges Scholarios qui, sous le nom de Gennade II, occupa le trône patriarcal après la prise de Constantinople par les Turcs et fit certainement belle figure en face de Mahomet II. D'autres moins connus sont pourtant à leur rang de vrais et sérieux théologiens: Deux noms d'empereurs y figurent, ce qui n'étonne nullement à Byzance: celui de Mathieu Cantacuzène (1354-56) et celui de Manuel II (1391-1425), auteur des meilleurs exposés du dogme catholique à l'adresse des Musulmans et bien au courant des choses d'Occident où il a séjourné plusieurs années. La précision qu'il apporte en son *Homélie sur la Dormition* est-elle une trace de ce séjour? « Dès qu'Elle fut née, je dirai même: dès qu'elle fut conçue, Celui qui l'avait choisie pour sa future mère la remplit de sa grâce ».

Nous ne nous arrêterons pas à détailler la pensée de chaque auteur. Nous aurions mauvaise grâce à répéter le Père Jugie, alors que nous lui devons tout. Nous voudrions plutôt retrouver à travers ses excellentes monographies le développement de la pensée Orientale qui nous est apparue déjà si ferme aux siècles précédents.

C'est toujours le plan divin qu'envisagent nos Théologiens et la Bienheureuse Vierge continue d'y avoir sa place de tout premier plan.

Mais, d'une part, ce n'est plus seulement comme terre nouvelle, roche intacte sous le ciseau de l'Artiste Divin qu'elle se présente, mais en active co-opératrice de la sanctification de l'homme; d'autre part, apparaît de façon parfois très explicite ce qu'on nomme la doctrine de Scot touchant le motif de l'Incarnation, et qui est plutôt ici un aspect du plan divin, mais aspect essentiel, admis de tous comme un présupposé et comme l'atmosphère même où se meut la pensée théologique, savoir: l'absolue primauté du Verbe incarné.

Les Théologiens Orientaux, nous l'avons dit, considèrent dans l'œuvre du Christ le côté positif de sanctification plus que le côté de réparation. N'est-ce pas la logique même de cet aspect positif, premier à leurs yeux, qui leur montre dans l'Homme-Dieu et dans sa Mère la fin premièrement voulue de Dieu, à laquelle tout doit s'ordonner?

C'est dans cette perspective que Marie apparaît toute première dans l'idée divine, puisque c'est en elle que se fera la rencontre, d'elle que le Créateur doit tenir son être de créature et s'unir ainsi à son œuvre.

Elle est « l'homme », l'homme selon l'idée divine, tel qu'il doit être présenté à Dieu en vue de l'union: dès lors, prédestinée, préparée toute première. Adam et sa descendance n'est que la voie, la montée vers Elle et son Fils. Adam, terre vierge, d'où Dieu tire la première Eve d'où tout doit sortir, Eve mère des vivants...

La terre hélas! a été souillée. Les Pères Grecs ne l'ignorent pas; mais c'est pour eux, oserait-on dire, secondaire. Le plan divin ne saurait en être détruit; la folie de l'homme triompherait-elle de la toute-Sagesse et toute-Puissance de Dieu? — Le Christ et sa Mère demeurent, But suprême, malgré les accidents de la route: tout sera réparé, et de nouveau s'offrira la terre vierge à la venue du nouvel Adam. Comment? cela demeure habituellement hors de l'horizon des Orientaux.

Si même, une fois ou l'autre, plus distinctement la question se pose: comment échapper à la souillure nécessairement inhérente à la naturelle descendance d'Adam, la réponse englobant la Vierge dans l'universelle contagion pourra se rencontrer comme par surprise, bloc aberrant, sans que l'attention soit spécialement éveillée, tant est ferme et assurée la conviction de la totale pureté de la Mère de Dieu.

Ne serait-ce pas le cas de cet Isidore Glabas († 1397) dont l'ho-

mélie sur la Dormition (1) a alerté la sagacité du Père Jugie, qui conclut soit à interpolation, soit à une œuvre de jeunesse dépassée et contredite plus tard par la pensée plus mûrie de l'auteur.

Donnons quelques détails qui montreront combien cette idée de l'Homme-Dieu, Fin de la création et premier dans l'idée divine, commande alors toute la théologie Orientale.

Chez l'un ou l'autre elle ne va pas sans quelque excès confinant au Baïanisme. Ainsi Théophane de Nicée († 1381) ne conçoit-il pas d'autre fin possible de la création que l'union personnelle de Dieu avec sa créature, et plus spécialement avec celle de ses créatures où se rejoignent monde spirituel et monde matériel.

Plusieurs, parmi lesquels Grégoire Palamas, voient expressément dans le Christ le médiateur des Anges aussi bien que des hommes: conséquence logique de la doctrine qui lui assigne la première place dans le plan de l'univers. Tout le reste est pour lui, ordonné à sa gloire; mais tout aussi est par Lui, qui non seulement présente à son Père toute la création, mais par ses mérites donne à tous, purs esprits ou esprits incarnés, accès auprès de Lui.

Ainsi Marie est-elle « cause de ce qui l'a précédée, comme elle préside à ce qui la suit; principe, source, racine des biens ineffables, sommet de toute sainteté » (2). Elle est la pincette préparée pour saisir le Charbon ardent, l'Homme-Dieu, le buisson qu'Il imprègne sans le consumer.

«Avant tous les siècles Dieu se l'est réservée... Le Saint Esprit a choisi ses ancêtres afin qu'aucune souillure ne passât en elle et qu'elle pût donner au Verbe une chair nouvelle et pourtant nôtre σαρκὸς καινῆς ἡμῶν καὶ ἡμετέρας. (3)

Tout est bien ici œuvre de l'Esprit Saint car pour cette Vierge avoir part à l'existence est avoir part à l'Esprit Saint: αὐτὴ γὰρ ἡ τοῦ πνεύματος μετουσία καὶ τοῦ εἶναι ταύτῃ γέγονε μετουσία. (4)

---

(1) Voici ce texte qui tranche si nettement, non seulement sur le reste de l'œuvre de Glabas mais sur tous ceux de l'époque : ἡ παρθένος προῆλθε μὲν ἐκ τῆς ἰδίας μητρὸς ὥσπερ ἄνθρωπος · καὶ διὰ τοῦτο τὸ ἀρχαῖον πάγος, λέγω δὲ τὴν προγονικὴν ἁμαρτίαν, μεθ' ἧς ἐγεννήθη, ἦν τε ἀκουσίως εἴληφε. διαφυγεῖν τε τρόπος ἦν οὐδεὶς οὐδὲ ὑπερῆν.

(2) Palamas (P. G. 151, 473).

(3) id. (édit. Sophoclis, p. 120).

(4) Théophane de Nicée (édit. Jugie p. 179).

L'active coopération de la Vierge demeure du reste entière. Telle formule maladroite de Démétrius Chrysoloras († 1470) paraîtra teintée de pélagianisme et Nicolas Cabasilas lui-même conclut son développement sur l'image de Dieu imprimée en tout homme, qu'Adam avait déformée et qu'Elle a parfaitement restituée en Elle par ces mots: « C'est toute sa gloire: car elle n'a rien reçu de plus que les autres hommes »; entendons: rien de plus que le premier homme en sa sainteté native. « Elle première et seule a montré ce qu'est l'homme ». Image de Dieu: cela demeure aussi profond dans la pensée du théologien oriental que dans la race, et cet optimisme, reconnaissons-le, ne l'a pas ici desservi. L'homme, pour lui, c'est Marie: l'homme, tel qu'il a été conçu dans l'idée divine, prêt à recevoir son Créateur et à Lui être uni.

Notons enfin en cette belle période de théologie byzantine la réaction discrète du traducteur et disciple de Saint Thomas, Demetrius Cydonès († 1398) contre son maître vénéré. Si Jérémie et Jean-Baptiste ont été sanctifiés dès le sein maternel, combien plus Dieu dut-Il sanctifier et préserver totalement son propre temple?

A partir du XVI[e] siècle la belle unanimité des Orientaux n'existe plus. Ils se présentent désormais en deux groupes: partisans du privilège et adversaires du privilège. Cherchant les causes de cet obscurcissement le Père Jugie signale avant tout chez ces nouveaux théologiens l'ignorance de leur tradition byzantine. Beaucoup ont fait leurs études à Saint Athanase de Rome, à Padoue ou à Venise; d'autres ont séjourné en Allemagne. Il y ont été mis au courant de la controverse qui y divise les docteurs. Faute d'enracinement suffisant dans leur propre passé plusieurs ont pris position contre le privilège. Deux textes, l'un de S. Grégoire de Nazianze, l'autre de S. Jean Damascène, connus de leurs aînés qui les interprétaient bénignement ou passaient outre, deviennent difficultés majeures: ces deux Pères y entendaient le *Spiritus superveniet in te* de l'Ange Gabriel d'une purification préalable de la Vierge. C'est souvent que reviendront désormais ces textes dans les Homélies ou les écrits du temps, amenant une interprétation, tantôt étroite de véritable purification et tantôt large, de sanctification nouvelle, d'accroissement de grâce.

A ces raisons ajoutons: la polémique. Non pas qu'elle s'exerce spécialement et formellement sur le sujet de la Conception de la Vierge; mais il paraît assez révélateur que la position négative touchant son

privilège se rencontre très spécialement en des ouvrages de polémique. N'est-ce pas un indice de plus, s'il en était besoin, qu'elle n'est pas dans le courant naturel, spontané de la pensée traditionnelle en Orient?

Il ne s'agit pas encore de polémique anti-Romaine. L'heure viendra où la prise de position de Rome et finalement la définition de 1854 suscitera des réactions plus ou moins vives dans le monde orthodoxe. Aux XVI[e] et XVII[e] siècles c'est d'une part dans leur polémique contre Lucaris et le courant protestant, d'autre part contre l'école de Kiev et contre les vieux-Croyants de Moscou que les théologiens Byzantins sont amenés à nier et à combattre la doctrine de la Conception immaculée de Marie.

On sait les remous causés dans l'Église orthodoxe par le célèbre Cyrille Lucar qui, de 1612 à 1638 où il fut mis à mort par les Turcs, occupa jusqu'à sept fois le trône patriarcal de Constantinople. Tout le fonds du Calvinisme: foi justifiante, réprobation positive, libre arbitre détruit chez les non-régénérés... avait passé dans les 18 articles et 4 réponses de sa Confession de foi. Condamné à Constantinople dès le lendemain de sa mort par les deux patriarches de Jérusalem et d'Alexandrie et 21 métropolites, puis par le Synode de Jassy, elle suscita dans les Églises des travaux de défense comme le *Catéchisme* de Pierre Moghila et l'*Antirrhesis* de Mélèce Syrigos, écrit et publié à l'instigation et sous le patronage du patriarche Dosithée de Jérusalem.

Or Lucaris était resté, sincèrement semble-t-il, dévôt à la Mère de Dieu. En plusieurs Homélies, pour la Dormition en 1612, pour la Nativité en 1616, il affirme aussi formellement que possible l'Immaculée Conception de la Mère de Dieu. « Elle fut sanctifiée d'une manière excellente, et cette sanctification fut si efficace qu'elle fit que la souillure du péché originel n'approcha pas d'elle » (de Dormit.). — « Quant « la Panaghia qui ne sait qu'elle est pure et immaculée, qu'elle fut un instrument sans tache, sanctifiée dans sa conception et sa naissance, comme devant contenir Celui que rien ne peut contenir » (de Nativ.). Étonnante profession de foi chez un homme si ouvertement calviniste et propagateur des idées de la secte: on n'y croirait pas, délare le Père Jugie, si l'on ne possédait les autographes de ses Homélies préparés pour l'impression.

En son *Antirrhesis* Mélèce Syrigos se croit obligé de prendre posi-

pourtant l'ancienne et solide tradition. « Née de père et de mère, déclare-t-il, la Vierge ne pouvait que contracter la tache originelle ».

Comme Mélèce c'est également dans une polémique que son patron, le patriarche Dosithée se déclare contre le privilège marial. C'est à l'école de Kiev qu'il en veut. Sa réputation croissante portait-elle ombrage à la somnolence de Jérusalem ou le patriarche parlait-il de sincère et profonde conviction? Toujours est-il qu'il dénonce parmi les « innovations » de l'école la doctrine de l'Immaculée Conception que lui avait vraisemblablement léguée son fondateur Pierre Moghila.

En même temps qu'il intervenait personnellement par ses lettres au patriarche œcuménique Callinique II, Dosithée trouvait en Sévastos Kyménitès son homme pour combattre sur le terrain théologique les prétendues nouveautés de Kiev: dans son *Enseignement dogmatique de l'Eglise d'Orient*, Sévastos consacre 150 pages à la Conception de Marie.

Polémique encore, la réponse de Païsios Ligaridès, ancien élève de Saint Athanase et prêtre catholique passé à l'Orthodoxie, devenu le conseiller ecclésiastique très écouté du Tzar Alexis Mikhaïlovich. Il s'agissait de réfuter la supplique du pope Nikita qui, au nom de la tradition, dénonçait comme une hérésie l'attribution à Marie du péché originel, contenue dans le nouveau livre liturgique *Skrijal*.

Tels sont en ces temps nouveaux les principaux adversaires du privilège de Marie. Les partisans ne manquent pas non plus.

A côté de Lucaris, trop compromis par ses idées protestantes, en face des théologiens de Kiev et des vieux-croyants de Moscou, l'authentique tradition byzantine compte, elle aussi, de sérieux défenseurs. Citons au XVII[e] siècle les deux Gérasime, l'un et l'autre patriarches d'Alexandrie, Gérasime I de 1621 à 1636, Gérasime II à la fin du siècle († 1710): Nicolas Coursoulas († 1652) élève de Saint Athanase de Rome et auteur d'un des rares manuels de théologie dogmatique. A la p. 338 du tome I de sa *Synopsie* nous lisons: « L'âme de la Vierge a été sans aucune tache de la faute originelle dès le premier instant où elle fut créée et unie au corps ». Au XVIII[e] siècle les principaux adversaires se réclament de Sévastos Kyméritès; mais de nouveau surgissent d'excellents défenseurs, entre autres Elie Méniatis mort à 41 ans en 1714, mais dont les deux ouvrages περὶ σκανδάλου et διδαχαί ont été maintes fois réimprimés. Un poète, Constantin Dapontès, a laissé sous le titre bizarre « Amulette raisonnable » un recueil délicieux dont nous extrayons ces deux strophes:

Tu es toute belle, ô mon amie, toute belle!
Aucune tache en toi, ni dans ton corps, ni dans ton cœur.
Je te glorifie, ô Marie,
Toi en qui l'on ne peut trouver aucun sujet de blâme.
Tu es incorruptible en ton âme, en ton corps, en ton esprit,
ô Marie,
Ta chasteté, ton incorruptibilité sont ineffables.
Tu es « l'homme sans péché », ô Marie la toute pure,
En toi l'immunité complète du péché,
En toi on n'a trouvé aucune fausseté, ô Marie immaculée,
Tu as échappé à toutes les intrigues du dragon astucieux.
Tu es le sommet de toutes les grâces,
Tu es parmi les hommes et parmi les femmes la seule bénie...
Dieu engendre son Fils sans mère;
Marie engendre le même sans père.
Le Fils est sans péché,
La mère est aussi sans aucune malice...
La nature entière n'a vu que deux corps
Exempts de tout péché et de toute passion:
Celui du Dieu fait homme
Et celui de sa Mère, amie des hommes,
La Sainte des Saints qui a enfanté le Saint des Saints.

La tradition Russe que nous présente le Père Jugie en ses derniers chapitres est, elle aussi, bien suggestive.

Parmi les plus anciens monuments, le livre liturgique intitulé *le Prologue* dont on a des exemplaires du XII^e^-XIII^e^ siècle contient pour les fêtes de la Conception (9 déc.) et de la Nativité (8 sept.) des textes remarquables:

« Aujourd'hui, mes très chers, est conçu et formé dans le sein d'Anne la juste, d'après l'annonce de l'Archange, *le commencement de notre salut*, la petite fille de Jessé, de la tribu de David. C'est par elle que les liens d'Adam ont été rompus... Accourez, mes très chers, car c'est en ce jour que nous célébrons l'honorable Conception de Notre-Dame, la très pure Mère de Dieu ».

et le 7 sept.: « Vous savez, mes frères, que ce jour est la vigile de la Nativité de Notre Dame, la très sainte Mère de Dieu... Vous viendrez à l'office du soir et à celui du matin, ainsi qu'à la liturgie (messe). Car ce jour, mes frères, est saint et le commencement de notre salut...

C'est en ce jour que Dieu a commencé à vouloir renouveler notre existence, en envoyant son Ange porter au juste Joachim et à Anne la bonne nouvelle de la naissance de la très sainte Mère de Dieu, qui a enfanté selon la chair N. S. Jésus-Christ».

C'est bien ici comme à Byzance la pensée du plan divin dont la réalisation commence avec l'apparition de Marie.

Nous pouvons aux siècles suivants apercevoir les racines profondes du culte de l'Immaculée dans les différents centres religieux de la Russie.

Kiev, berceau de la foi des Russes, a perdu de bonne heure sa suprématie, supplantée par Vladimir puis par Moscou, mais reste métropole pour toute la Russie du Sud. Nous avons fait allusion déjà à son école théologique — plus tard, Académie — fondée par Pierre Moghila, dont la réputation ne fera que croître. Nous avons vu la contradiction provoquée chez Dosithée de Jérusalem et Sévastos Kyménidès par son attachement à la Conception immaculée de Marie.

Kiev demeure fidèle à sa tradition. Les noms de ses théologiens, tous défenseurs du privilège marial s'alignent durant tout le XVII^e^ siècle: Lazare Baranovitch dans la «Trompette des prédicateurs», Varlaam Jasinski, Dimitri de Rostov, Etienne Javorski. En 1705 Innocent Popovskij, recteur de l'Académie, écrit dans son *Cours biennal de Théologie sacrée :*

« La Vierge, Mère de Dieu, ne contracta pour aucun instant le péché originel. Telle a été la croyance de la Sainte Église Orientale; et l'Église occidentale elle-même la partage ». Et un peu plus bas: « La bienheureuse Vierge n'a pas contracté le péché originel. Cette conclusion est de foi; et bien qu'elle n'ait pas été définie par les conciles, elle doit être tenue par les catholiques ».

Dans la suite, il est vrai, le second successeur de Popovskij, Théophane Procopovitch soutient la thèse contraire. Mais la grande diffusion de sa *Theologia christiana orthodoxa* et l'appui de Pierre le Grand, dont il fut le théologien favori, n'imposèrent pas définitivement silence aux partisans de l'Immaculée, et de courageuses protestations s'élevèrent de la part des recteurs de l'Académie, Lévitskij et Doubnevitch.

On notera aussi que l'hostilité qui a toujours divisé Polonais et Russes, et assombri hélas! jusqu'à nos jours les relations même entre catholiques Polonais et catholiques Russes, s'est toujours arrêtée devant l'Immaculée. Durant tout le XVII^e^ siècle, alors que petits-Russiens

et blancs-Russiens sont sous la domination Polonaise, on ne peut constater entre eux et la nation suzeraine qu'émulation à qui honorera le mieux la Vierge Mère et son Immaculée Conception.

A Moscou, la tradition de la Russie du N., pour être moins brillamment représentée n'en apparaît pas moins profonde. On y est très étroitement orthodoxe: l'union de Florence, apparue comme un désaveu de cette orthodoxie fut rejetée. Aussi la réforme du patriarche Nicon au milieu du XVII[e] siècle ne manqua-t-elle pas de susciter de vives réactions. Il se trouva que le nouveau livre liturgique qu'elle imposait, le Skrijal, simple traduction en slavon de l'*Explication de la liturgie* du grec Jean Nathanaël, niait le privilège de Marie. La chose put passer d'abord inaperçue, vu que le même synode de 1667 qui confirmait l'approbation du Skrijal, recommandait un autre ouvrage *le bâton de gouvernement* (gezl pravleniia) de Siméon Polotskij, spécialement écrit pour la défense de la réforme, mais qui, lui, affirmait clairement la Conception immaculée. Bientôt parvint au tzar Alexis une protestation du pope Nikita Constantinov Dobsynine, auquel se joignait le moine Lazare de Poustozok.

Ces vieux croyants s'étaient sentis spécialement blessés dans leur foi et leur dévotion et ne pouvaient s'empêcher de le manifester.

Deux autres centres religieux importants apportent également leur témoignage. A *Vilna*, en 1520, Léonce Karpovich, premier archimandrite de la nouvelle métropole, dans un beau sermon pour la Dormition développe le texte: *gloriosa dicta sunt de te*. L'architecte divin a bâti lui-même sa maison; il en a dessiné le plan, multiplié les figures et symboles. « Son fondement est sur les montagnes saintes » où atteignent à peine en leur sommet les autres édifices. « Un fleuve en rejoint la demeure »: plénitude de grâces. « Dans le soleil il l'a fixée »: éclat de sa pureté. Tout en elle est privilège unique: admirable fut sa conception, admirable sa naissance.

A Polotsk, autre métropole de la Russie blanche existe une Confrérie de l'Immaculée Conception approuvée par l'archimandrite du lieu Kononovitch.

Nous avons en tout cet exposé suivi de près, pillé, pourrions-nous dire, le livre du Père Jugie. Puissions-nous avoir éveillé chez quelques-uns le désir d'en explorer les richesses, d'y retrouver, ou même d'aller rejoindre jusqu'en ses sources l'authentique tradition de notre Orient Chrétien.

تعريف عن الكتب

J. Spencer Trimingham. *Islam in Ethiopia*. XVI — 300 pp. in 8° avec 2 cartes h.-t. et un index Oxford University Press. Londres. 1952. Prix 25 sh. net, chez Geoffrey Cumberlege. Amen House. Warwick Sq. London E. C. 4.

ليس هذا الاثر الا القسم الثاني من دراسة وصفية للاسلام في افريقيا بدأت بدراسته في السودان ، اما كلمة ايتوبيا فتعني هنا جميع القسم الجغرافي الذي تقع فيه مناطق امبراطورية منليك واريتريا ومناطق الصومال الثلاث لا مملكة الحبشة المسيحية وحدها .

ولقد كانت منطقة الجبال الايتوبية المرتفعة مع ساحل البحر المتوسط احدى المناطق النادرة من افريقيا التي كونها اقليمها صالحة لانتشار الحضارة فيها .

ومن نكد الدهر ان البيد والصحاري السودانية قد سدّت المنافذ امام دخول الحضارات المصرية والفينيقية والاغريقية ... فلم تستطع ايتوبيا ان تتلقى في شمالها منذ اوّل القرون الوسطى قبل التاريخ المسيحي الا مؤثرات جوالي اليمن السامية ، ولقد افضت هذه المؤثرات في ناحيتي البحر الاحمر الى حضارة مشتركة توطدت بعد ذلك في وحدة الدين المسيحي . ومنذ القرن السابع الميلادي اصبح الاسلام عامل التوحيد الروحي بكل الشرق الادنى وافريقية الشمالية . فاوجد هذا النهج الجديد تصدعا فصل الحبشان عن العرب فصلا تاما كما فصلت اعماق البحر الاحمر الطبقات الجيولوجية من جهة الى جهة .

وما جاءت الحضارتان اولا متناقضتين ، فان المسيحية الحبشية في ايتوبيا الشمالية قد انتشرت طوال العهد الذي تستطيع ان تسميه العهد السابق للتاريخ في الجبال وضمت اليها جميع حبش الاغاو — الحامي « agao - hamitique » . وفي غضون القرون نفسها ، بسط العرب نفوذهم على جميع الساحل الافريقي الشرقي ولقد ساعد هذا الانتشار الافتقار الذي كان يحس به السكان الافريقيون الى تفتح عقليتهم اللامبالية التي ارعبتها عبادات الطبيعة الوثنية تفتحا ضمن شعور المجتمع الاسلامي المتوّي القائم فوق اعتبارات الاجناس والاقاليم وحاجتهم الى

مستوى ادبي سهل . وتلك الاوضاع كانت ملائمة ايضا لاكتساب الشعوب الزنجية التي هي من اصل حامي ، لان تقلص الحياة البدوية قد تطلب بقوة من ذلك العهد نفسه رابطة دينية تقوم على قاعدة حضرية على شاكلة رابطة الاسلام ليتم تطوره نحو دور التحضر والزراعي والحياة في المدن .

والحبشة المسيحية التي كانت مطوقة من كل جانب كان عليها ان تعتنق الاسلام اما فجأة عقب فتح عنوة ، واما على مر القرون على أثر تغلغل بطيء. وذلك منذ الساعة التي وقفت فيها الحضارة الاسلامية — الحامية فوقعت قدمها في حصن الجبال العالية ، ولم يعد يسع احد ان يوقف انتشار الاسلام في جميع القارة السوداء. مبتلعا الفرع الثاني من العرق الحامي الذي صادف فيه دعاته الاقوياء على شاكلة دعاته في السودان وافريقية الشمالية .

ولقد حول الاحابيش المحصورون في حصنهم الطبيعي نشاط توسعهم الى المقاومة ، بيد ان مستواهم الثقافي والروحي الذي ردهم اليه انعزالهم لم يمكنهم من معارضة ذلك « الاختيار » الذي فرض عليهم على حين غرة على شاكلة فرضه على اوربة حيال الاسلام . وتركت صدمة الانتصار الاسلامي في القرن السادس عشر ومن بعده غزوة الغالاس « Gallas » المدمرة قوى الشعب الباطنية بدون ردات فعل ومنهكة . والمسيحية الحبشية المنحصرة في « ارثوذكسيتها » عنوان استقلالها وايمانها ، لم تقو الا على ان تكون ضعيفة النمو في مصاف شكل دين قبلي اعلى . فكانت الجزيرة صغيرة في وسط خضم اسلامي يحيط بها من كل جانب — فان الخريطة رقم ٦ تبين ذلك بيانا باعثا على الاسى — اما محاولة الآباء اليسوعيين في عهد النهضة ليحملوا دما جديدا الى الاحابيش فلم توفق لانهم كان يعوزهم ان يعاشوا نفسيتهم فلذلك لم يتأت لها ان تكون ناجعة في معالجتهم من كانوا يشكون من فقر بالدم .

وعلى كل فان الحبشة قد غيرت وجه تاريخ افريقية بقاومتها . وكانت مسيحيتها الصخرة التي تكسرت دونها امواج الانتشار الاسلامي الوافدة من شبه الجزيرة العربية من جهة ومن الساحل الافريقي الشرقي ووادي النيل من جهة اخرى .

واذ استرف الاسلام قواه على تلك الصورة لم يبق بتقدوره التمركز لا على

جبال الحبشة والاعلى الساحل الشرقي بقوة سياسية راسخة دائمة بدون تأثيرها ومقدرتها قاعدة لينتشر منها صوب قلب القارة ويتمكن من تحقيق وحدة افريقية تحت رايته ، فان مقاومة الحبشان للضغط الوافد من جهة وادي النيل ومن افريقيا الشرقية قد وفرت الوقت لدخول دين آخر نشيط الا هو دين المسيحية الغربية الذي تفوق بسرعة على الاسلام الوافد بجماعته من الاقليم الحار وتصد انتشاره .

ولو عرف اقدام مجهود المرسل المسيحي وقوته منذ مئات السنين الاخيرة ان يتخلصا مما هو غربي محض ولا يكون جزءا من تقاليده الدينية ، لكان باستطاعة المسيحية على رغم نجاح الاسلام في الشمال الافريقي والسودان ان تكتسب النفس الافريقية ولصارت القوة الموحدة لافريقية الجنوبية والوسطى ، وذلك ما هو مدينة به لبطولة المسيحية الحبشية العريقة الوفية .

هذه هي النظرة الاجمالية التي اتحفنا بها الكتاب الرائع الذي وضعه المؤلف سبنسر تريمنغهام وجاء بها في مقدمته التي تبين الى اي مبلغ لا ينفصل تاريخ الحبشية وتاريخ كنيستها الجليلة الوطنية عن دراسة تاريخ الاسلام جميعه في ايتوبيا وعن منظماته وجمعياته على مختلف جماعاته القبلية والدينية وسيكون هذا المؤلف الذي لم ينحصر في حدود عنوانه ، دراسة بالواقع للاوضاع التاريخية والجنسية والجغرافية وللتفاعل الذي تم في خلال قرون عدة لقيام المسيحية والاسلام في هذه المناطق .

وفضلا لما لهذا المؤلف من قيمة بالنظر الى الاضواء التي يلقيها على تاريخ الكنيسة في ايتوبيا ونفسية الحبشان بدراسته للاسلام فانه لذو فائدة لا يستغني عنها جميعنا .

هنري شارل

فهارس المشرق

للسنة الثامنة والاربعين

١٩٥٤

فهرس اوّل

لمواد اعداد السنة الثامنة والاربعين من مجلة المشرق ١٩٥٤

الجزء ١ — (كانون الثاني – شباط) : صحف الكتابة وصناعة الورق في الاسلام لحبيب زيات (١–٣٠) = الآثار المطويّة للاب انطونيوس شبلي اللبناني (٣١–٤٥) = سير غير معروف لمار يعقوب السروجي للدكتور جورج گرّاف (٤٦–٤٩) = الرسالة المشفية للامراض المشكلة في المراقيا للاب انطونيوس شبلي اللبناني (٥٠–٧٦) = كتاب « تاريخ الازمنة » للدوجي للخوراسقف بخايل الرجي (٧٧–٨١) = نشيد الميلاد للشاعر رومانس المرنم للاب نيقولاوس قادري قب (٨٢–١٠٠) = فريدريك اوزنام ١٨١٣–١٨٥٣ (١٠١–١١٥) = الاخبار العالمية (١١٦–١١٨) = الكتب (١١٩–١٢٨) .

الجزء ٢ — (آذار – نيسان) : يوحنا الشامي الرّبابي الملقب بابن القرير للخوراسقف بخايل الرجي (١٢٩–١٥٦) = الآثار المطويّة للاب انطونيوس شبلي اللبناني (١٥٧–١٦٨) = كتاب المُبين في شرح معاني الفاظ الحكماء والمتكلّمين للاب يوسف كوتش وا. عبده خليفة اليسوعيين (١٦٩–١٨١) = كتاب الخلوة والتنفل في العبادة ودرجات العابدين للمحاسبي للاب ا. عبده خليفة اليسوعي (١٩٣–١٩٨) = خمر الكلب للخوري لويس المازن (١٩٩–٢٠٣) = الظاهر الغزرة في كيمياء الاحياء للاب شارل نيرون اليسوعي (٢٠٤–٢٠٧) = الكتب : الحركة الفكرية في لبنان وسورية للاب فرديناند توتل اليسوعي (٢٠٨–٢٥٤) = الاخبار العالمية (٢٥٥–٢٦٠) .

الجزء ٣ — (ايار – حزيران) : على اقدام مريم الطاهرة للاب ا. عبده خليفة اليسوعي (٢٦١–٢٦٥) = ذكرى مريم العذراء والجبل جبا بلا دنس المتطيّنة للخوري

ارسانيوس الفاخوري (٢٦٦–٢٧٠) = عقيدة الخبل بلا دنس في الكنيسة السريانية للخوري اسحق ارملة (٢٧١–٢٨٤) عقيدة الخبل بلا دنس وأبوة السريان الارثوذكس للخوري اسحق ارملة (٢٨٥–٢٠٩) = مريم العذراء لنيه صفر (٢٩٠–٢٩١) عقيدة الخبل بلا دنس في الكنيسة السريانية المارونية للاب يوسف حبيقة اللبناني (٢٩٢–٣٢٠) = لو كان للاولاك نطق او فم للسطران حرمانوس فرحات (٣٢٩–٣٣١) · عقيدة الخبل بلا دنس في الطقس البيزنطي للاب بيفولاوس قادري قب (٣٣٢–٣٤٥) = مريم العذراء في الاداب الارمنية للعصور الوسطى للاب حنا مصريان اليسوعي (٣٤٦–٣٧٩) = مريم العذراء في التقليد الشرقي القديم للاب فرنان دي لا فرسان اليسوعي (٣٨٠–٣٩١) .

الجزء ٤–٥ — (تموز – آب – ايلول – تشرين الاول) : الآثار الطوبية للاب انطونيوس شبلي اللبناني (٣٩٣–٤١٧) = تاريخ الدول السرياني لابي الفرج الملطي للاب اسحق ارملة السرياني (٤١٨–٤٥٧) = صحف الكتابة وصناعة الورق في الاسلام لحبيب زيات (٤٥٨–٤٩٨) = انشقاق فوتيوس – تاريخ واسطورة للاب يوحنا كابلوس اليسوعي (٤٩٩–٥٢٨) = كتاب الدر المرصوف في تاريخ الشوف لخنانيا المتير للاب اغناطيوس سركيس قب (٥٢٩–٥٤٠) = الكلمات الدخيلة في العربية للاب دوفائيلي نخله اليسوعي (٥٤١–٥٦٣) = حبيب زيّات ١٨٧١–١٩٥٦ للاب ا. عبده خليفة اليسوعي (٥٦٤–٥٦٨) – الكتب (٥٦٩–٦١٩) = الاخبار العالمية (٦٢٠–٦٢٢) .

الجزء ٦ — (تشرين الثاني – كانون الاول) : صحف الكتابة وصناعة الورق في الاسلام لحبيب زيّات (٦٢٥–٦٥٣) = الآثار الطوبية للاب انطونيوس شبلي اللبناني (٦٥٤–٦٧٠) = كتاب الدر المرصوف في تاريخ الشوف لخنانيا المتير للاب اغناطيوس سركيس قب (٦٧١–٦٩٥) = معجم الملائي للاستاذ منصور ابي صالح (٦٩٦–٧٠٤) بديمية في ميلاد السيد المسيح للخوري ارسانيوس الفاخوري (٧٠٥–٧١٣) = الاب اسحق ارملة السرياني للاب ا. عبده خليفه اليسوعي (٧١٤–٧١٨) = مؤتمر المستشرقين الدولي الثالث والعشرون للاب ا . عبده خليفة اليسوعي (٧١٩–٧٢٣) = مريم العذراء في التقليد الشرقي للاب فرنان دي لافرسان اليسوعي(٧٢٤–٧٣٥) = الكتب (٧٣٦–٧٣٦)= الفهارس العامة (٧٣٧–٧٤٧) .

فهرس ثانٍ

يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

ابي صالح (الاستاذ منصور) معجم الدلائل ٦٩٦-٧٠٦

ارملة (الاب اسحق السرياني) : عقيدة الحبل بلا دنس في الكنيسة السريانية ٣٧١ – عقيدة الحبل بلا دنس وأيقنة السريان الارثوذكس ٣٨٥ – تاريخ الدول السرياني لابي الفرج الملطي ٦١٨

نوئل (الاب فرديناند اليسوعي) : الحركة الفكرية في لبنان وسورية ٣٠٨

حبيقه (الاب يوسف اللبناني) : عقيدة الحبل بلا دنس في الكنيسة السريانية المارونية ٣٩٢

الخازن (المنوري لويس) : نهر الكلب ٩٩

خنيفة (الاب ا. عبده اليسوعي) : كتاب المبين في شرح معاني الفاظ الحكماء والمتكلمين ١٦٩ – كتاب الخلوة والتنقل في العبادة ودرجات العابدين للمحاسبي ١٨٢ – اليوبيل المئوي الرابع للجامعة البابوية الغريغورية ١٩٢ – على اقدام مريم الطاهرة ٣٦١ – حبيب زيات ٥٦٦ – الاب اسحق ارملة السرياني ٧١٦ – مؤتمر المستشرقين الدولي الثالث والعشرون ٧١٩

الرجي (المنور اسعف نخايل) : كتاب « تاريخ الازمنة للدويهي » ٧٧ – يوحنا الشامي الزرباني الملقب بابن القرير ١٢٩

زيات (حبيب) : صحف الكتابة وصناعة الورق في الاسلام ٣٥٨، ٦٢٥

سركيس (الاب اغناطيوس قب): فردريك اورنام ١٠١ – كتاب الدر المرصوف في تاريخ الشوف ٥٢٩، ٦٧١

شيلي (الاب انطونيوس اللبناني) : الآثار المطبوعة ٣١، ١٥٧، ٣٩٣، ٦٥٤ – الرسالة المشفية للامراض المشكلة في المراقيا ٥٠

الفاخوري (المنوري ارسانيوس) : ذكرى مريم العذراء والحبل بها بلا دنس الخطيئة ٢٦٦ – بدعية في ميلاد السيد المسيح ٧٠٥

فرحات (المطران حرمانوس) : لوكان للافلاك نطق او فم . . . ٣٢٩

قادري (الاب نيقولاوس قب) : نشيد الميلاد للشاعر روسانس المرنم ٨٢ – عقيدة الحبل بلادنس في الطقس البيزنطي ٣٣٢

كابلوس (الاب يوحنا اليسوعي) : افشقاق فوتيوس – تاريخ واسطورة ٤٩٩

گراف (الدكتور جورج) : مبتر غير معروف لمار يعقوب السروجي ٦٦

كوتش (و. اليسوعي) : كتاب المبين في شرح معاني الفاظ الحكماء والمتكلمين ١٦٩

لانغرسان (الاب فرنان دي اليسوعي) : مريم العذراء في التقليد الشرقي القديم ٣٨٠، ٧٢٦

مصريان (الاب جان اليسوعي) : مريم في الاداب الارمنية للعصور الوسطى ٣٦٦

نخله (الاب روفائيل اليسوعي) : الكلمات الدخيلة في العربية ٥٤١

فهرس ثالث

للمطبوعات التي ورد وصفها في السنة الثامنة والاربعين للمشرق

على ترتيب اسماء مؤلفيها

١ — الكتب الشرقية

ا

ابن هاني : ديوانه (شرح كرم البستاني) ٢٢٩

ابو شقرا (يوسف خطّار) : الحركات السياسية في لبنان الى عهد المتصرفية ٢٢٦

ابو فراس : ديوانه (نشره الدكتور دهّان) ٢١٣

ابو النصر (عادل) : تربية النحل ٢٢٨

اندرى (الجنرال) : المسلمون في المتوسط الشرقي (تعريب لويس الحاج) ٢٥١

ب

برصوم (مار اغناطيوس افرام الاول) : الالفاظ السريانية في المعاجم العربية ٢٠٩

برنس (موسى) : حول انتزاع الاقرار ، اكسير المحققين في القرن العشرين ٢٢٠

البصري (عامر بن عامر) : ثالثته (نشرها الشيخ عبدالقادر المغربي) ٢١٦

بوهور (الجنرال) : المسلمون في المتوسط الشرقي (تعريب لويس الحاج) ٢٥١

ت

تامر (حبيب) : هذه تونس ٢٣١

تامر (عارف) : اربع رسائل اسماعيلية ٢١٧

التوحيدي (ابو حيان) : ثلاث رسائل (نشرها الدكتور الكيلاني) ٢١٦

ج

جبر (جميل) : مي في حياتها المضطربة ٢٥٥

ح

حيقة (الاباتي يوسف) : عبادة قلب يسوع الاقدس في الطائفة المارونية ٢٢٠

حتي (فيليب) : الاسلام في نظر الغرب ٢٢٦

حنكش (نجيب) : حنكشيات ٢٢٥

د

داغر (الدكتور) : مذكرات دينار ٢٣٠

دموس (حليم) : رباعيات وتأملات ٢٣٧

ز

الزين (علي) : مع التاريخ العاملي ٢٢١

س

ساطع الحصري (ابن خلدون) : حولية الثقافة العربية ٢٥١

السيوفي (حبيب) : الحديث المقتضب في ترجمة اكبر زعيم ليلاد الذهب ١٢١

ش

الاشعري (ابوالحسن علي بن اسمعيل) : كتاب اللمع في الرد على الزيغ والبدع والبدع (نشره الاب رتشرد ماكارثي) ٢٥٦

شهرزاد في ليالي الف ليلة وليلة الموسوعة العربية المقالدة ٣٢٨

ص

صدقي (مجاني) : الاخوات الخزبنات ١٢١
صقر (الياس) : عمّ يشكو الناشر مصير العالم رهن مصير العامل ٥٩٩

ع

عبد ربّه (ابو عمر بن محمد بن) : العقد الفريد (شرح كرم البستاني) ٢٢١
العُسَر (قدري) : من الادب ٢١٩

ف

فهد (بطرس) : حول كتاب الهدى وتاريخ الطائفة المارونية ٥٨٩
فهرس المؤلّفين والمناوين للكتب العربية الموجودة بالمكتبة العامة للجامعة ٦١٨

ق

قصة تريستان وايزلت (نثرها جوزف بيديه — ترجمها يوسف غصوب) ٥٧٧
قطوف الاغاني (شرح كرم البستاني) ٢٣٠

ك

كابل (ت) فريدة نخلة (١٨٧٤—١٩٣١) ٢١٩
الكتاب المقدس العهد الجديد (علّق عليه جورج فاخوري) ٥٦٩
كتاب وقف اسعد باشا النظم ٦١٧

ل

لحود (اديب) : العادات والاخلاق اللبنانية ٢٢٢
لحود (اديب) : الرباء ملكة جزيرة العرب ٢٢٣
لحود (اديب) : الشهامة والشرف ٢٢٣
لحود (اديب) : امرؤ القيس والفتاة الطائية ٢٢٣
لحود (اديب) : نثر بن عوانة ٢٢٣
لحود (اديب) : حضارة العرب في الجاهلية والاسلام ٢٢٦

م

المحاضرات العامة لعام ١٩٥٢ (منشورات المكتبة الوطنية بحلب) ٢١٨
محلي (راتب) : الوجيزة في تحليل المياه ٢٣١
مزهر (يوسف) : تاريخ لبنان العام ٢٥٣
المعرّي (ابو العلاء) : لزوم ما لا يلزم — اللزوميات ٢٢٩
معلوف (نيموثي فيليب) : الاشجار المثمرة — التفاح ٢٢٤
معلوف (شفيق) : نداء المجاذيب ٢٥٥
المغربي (الكامل ابي القاسم الحسين بن علي) : كتاب في السياسة (نشره الدكتور دهّان) ٢١٤

ن

نخلة (الاب) روفائيل اليسوعي) : اربعة آلاف عربية اي تعبير مختص باللغة العربية ٥٧٦
النشرة الثقافية ٢٥٢
النُعيمي (عبد القادر بن محمد الدمشقي) : الدارس في تاريخ المدارس (نشره جعفر الحسني) ٢١٠

ه

الهروي (ابو الحسن علي بن أبي بكر) : كتاب الاشارات الى معرض الزيارات (نشره جانين سورديل) ٢١٥

و

وهبه (منير) : التسلّط على الذات ١٢٠
وهبه (منير) : ياجوج وماجوج ٢٢٧

٢ — مطبوعات اوروبية

A

ALZIN (JOSSE) : *Jesus incognito, le premier essai sur les petites ouvrières* 580

ANDRÉ (MARIE) : *Sœur Rosalie* 572

AVERROÈS : *Tafsīr ma baʿd aṭ-Ṭabīʿat* (Texte établi par M. Bouyges) 588

B

BALTHASAR (H. U. von) : *Le chrétien et l'angoisse* 588

BECKER (CHARLES) : *La nuit pascale* 583

BERNARD (P. R.) : *Le Mystère de Marie* 586

BLACHÈRE (RÉGIS) : *Histoire de la Littérature arabe des origines à la fin du XV^e s. de J.C.* 595

BLANCHARD (PIERRE) : *Sainteté d'aujourd'hui* 585

BRÉYNAT (MGR) : *Evêque volant. Cinquante ans dans le Grand Nord Canadien* 574

C

CANARD (MARIUS) : *Histoire de la Dynastie des Hamdanides de Jazira et de la Syrie* 598

CÉRAM (C. W.) : *Des Dieux, des tombeaux, des savants* 615

CHAMPDOR (ALBERT) : *L'Alhambra de Grenade* 613

Collection HÉLÈNE STATHATOS : *Les bijoux antiques* (publication de Jean Ármandry) 611

COLOMBO (ANGELO) : *Le Origini della Gerarchia della Chiesa Copta Cattolica nel secolo XVIII* 586

COLSON (JEAN) : *L'Evêque dans les communautés primitives* 577

CORSON (RACHEL L.) : *Cette mer qui nous entoure* 616

CROUSE (ELIZABETH) : *Les grands thèmes de la Bible* 123

D

DAHER (P.) : *Vie, survie et prodiges de l'Ermite Charbel Makhlouf* 571

DOHEN (DOROTHY) : *La sainteté des Laïcs* 579

DUHAMELET (GENEVIÈVE) : *Mère Marie-Xavier, fondatrice de la Congrégation des Sœurs de la Providence et de l'Immaculée-Conception de Champion* 573

E

EID (JOSEPH) : *The Hermit of Lebanon Father Charbel* 571

ETTINGHAUSEN (RICHARD) : *Books Periodicals in Western Languages dealing with the Near and Middle East...* 111 pp. — Washington 1952. — 618

F

FRANDON (IDA-MARIE) : *L'Orient de Maurice Barrès* 599

G

GAILLARD (LUCIEN) : *Objets Kairouanais IX^e au XIII^e siècles* 608
LE GÉNISSEL (ANDRÉ) : *Proche-Orient moderne* 600
GÉRARD (JOHN) : *Vie et passion d'un Jésuite Elizabéthain* 572
GUARDINI (ROMANO) : *Vie de la foi* 578
GODEFROY (VICE-AMIRAL) : *L'aventure de la force X à Alexandrie* 592

H

HANIN (CHARLES) : *Algérie, terre de lumière* 604
HARB (JULIEN) : *Feuilles éparses — Poèmes* 576
HÄRRER (H.) : *Sept ans d'aventure au Thibet* 607
HEMPTINE (Jean de) : *L'ordre de S. Benoit* 570

J

JOURNET (CHARLES) : *Primauté de Pierre dans la perspective protestante et dans la perspective catholique* 580

K

KOLOGRIVOF (IVAN) : *Essai sur la sainteté en Russie* 587

L

LABANDE (Y. et E.-R.) : *Rome* 605
Le Louvre, la nuit 608
LENTZ (WOLFGANG) : *Iran* 122

M

MANTRAN (ROBERT) : *Règlements fiscaux ottomans* 603
MARÇAIS (G.) : *Objets Kairouanais IX^e au XIII^e siècles* 608
MARAINI (FOSCO) : *Tibet secret* 608
MAUROIS (ANDRÉ) : *Rio de Janeiro* 612
MAZAHÉRI (ALY) : *La vie quotidienne des Musulmans au M. A., X^e au XIII^e siècles* 590
MERGÉ (J. L.) : *Le Maroc* 609
Missel quotidien des fidèles (P. Feder) 573

N

Naissance du prolétariat 601

P

PAPADOPOULOS (THEOD.) : *Studies and Documents relating to the History of the Greek Church* 596

Poisson (Louis) : *Objets Kairouanais IX^e au XIII^e siècle* 609
Poyet (P.) : *Le Sahara* 606

R

Recherches Bibliques : L'Attente du Messie (L. Cerfaux ; J. Coppens ; R. de Langhe ; V. de Leeuw ; A Descamps ; J. Giblet ; B. Rigaux 582
Ricord (Maurice) : *Croisières en Méditerranée* 610
Rvelandt (L.) : *Saint Benoît, sa physionomie morale* 570
Renié (J.) : *Les Origines de l'humanité d'après la Bible.* — Mythe ou histoire 122

S

Schacht (Joseph) : *Esquisse d'une histoire du droit musulman* 119
Schuré (Édouard) : *Sanctuaires d'Orient, Egypte, Grèce, Palestine* 607

T

Tavard (Georges) : *L'angoisse de l'Unité* 579
Toynbee (Arnold J.) : *Le monde et l'Occident* 613
Tserstevens (A.) : *Le nouvel itinéraire espagnol* 612

W

Wehr (Hans) : *Arabischen Wörterbuch für die Schriftsprache der Gegenwart* 571

فهرس رابع

لجميع مواد السنة الثامنة والاربعين لمجلة المشرق

على طريقة حروف المعجم

ا

الاب اسحق ارملة السرياني ٧١٤–٧١٨
الآثار المطوية ٣١–٥٥، ١٥٧–١٦٨، ٣٩٣–٦٥٤، ٦١٧–٦٧٠
انشقاق فوتيوس – تاريخ واسطورة ٤٩٩ – ٥٢٨

ب

بدعية في ميلاد السيد المسيح ٧٠٥–٧١٣

ت

تاريخ الدول السرياني لابي الفرج الملطي ٤١٨–٤٥٧

ح

حبيب زيات ٥٦٤–٥٦٨
الحركة الفكرية في لبنان وسورية ٢٠٨ – ٢٥٤

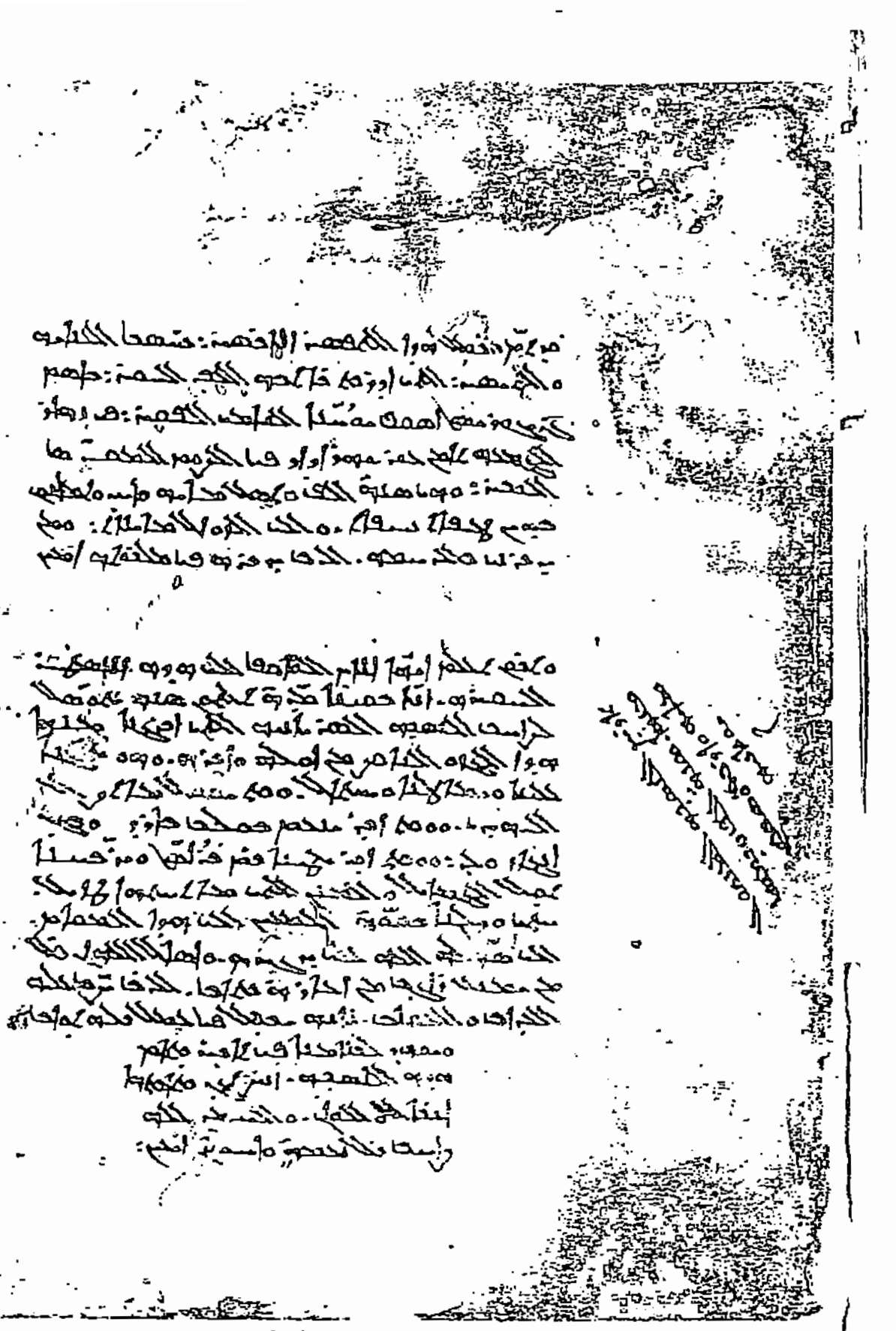

الصفحة الاخيرة من مخطوط بكركي

ذ

ذكرى مريم العذراء والجبل صلا بلا دنس الخطيئة ٢٦٩–٢٧٠

ر

الرسالة المشفية للامراض المشكلة في المراقيا ٥٠–٧٦

س

صحف الكتابة وصناعة الورق في الاسلام ٣–٣٠ ؛ ٦٥٨–٦٩٨–٦٢٥–٦٥٣

ع

عقيدة الحبل بلا دنس في الكنيسة السريانية ٢٧١–٢٨٤

عقيدة الحبل بلا دنس وأيمة السريان الارثوذكس ٢٨٥–٢٨٩

عقيدة الحبل بلا دنس في الكنيسة السريانية المارونية ٣٢٣–٣٢٨

عقيدة الحبل بلا دنس في الطقس البيزنطي ٣٣٢–٣٤٥

العناصر النزرة في كيمياء الاحياء ٢٠٦–٢٠٧

ف

فردريك اوزنام ١٠١–١١٥

ك

كتاب «تاريخ الازمنة» للدوجي ٧٧–٨١

كتاب البطولة والتنقل في العبادة ودرجات العابدين للمحاسبي ١٨٣–١٩١

كتاب الدر المرصوف في تاريخ الشرف ٥٢٩–٥٤٠ ؛ ٦٧١–٦٩٥

كتاب المبين في شرح معاني الفاظ الحكماء والمتكلمين ١٦٩–١٨١

الكلمات الدخيلة في العربية ٥٤١–٥٦٥

ل

لو كان للافلاك نطقٌ او فمٌ ... ٣٢٩–٣٣١

م

مريم العذراء ٢٩٠–٢٩١

مريم العذراء في الآداب الارمنية للعصور الوسطى ٣٤٦–٣٧٩

مريم العذراء في التقليد الشرقي القديم ٣٨٠–٣٩١ ؛ ٧٢٤–٧٣٢

معجم الملائي ٦٩٦–٧٠٤

مؤتمر المستشرقين الدولي الثالث والعشرون ٧١٩–٧٢٣

ميمر غير معروف لمار يعقوب السروجي ٦٦–٦٩

ن

نشيد الميلاد للشاعر روماني المرنم ٨٢–١٠٠

نهر الكلب ١٩٩–٢٠٣

ي

اليوبيل الماوي الرابع للجامعة البابوية الغريغورية ١٩٣–١٩٨

يوحنا الشامي الزربابي الملقب بابن القرير ١٣٩–١٥٦

اصلاح بعض اغلاط وقعت في الشرح

ص	سطر	خطأ	صواب
٣٦	٢٢	لحبّ	لحبٌّ
١٥٩	١	احبّ	احبٌّ
حاشية ١٥٩	٤	الشيخ	الشيخ
١٦١	٢٦	بإغلاق	بأغلاق
١٦٢	١٧	شموس قوم	شموسِ قومٍ
١٦٣	٦	النذيرُ	النذيرَ
١٦٣	٩	جانبك	جنابك
١٦٥	١٤	خطاب	خطّابٍ
١٦٧	٣١	افه له	افعاله
١٦٧	٣٥	احبتُ	احبتَ
١٦٨	١٧	الأبيةَ	الأبيّةُ
١٧٠	٢	عليَّ افه مراتبه	عُدّي افه مراتبه
١٧٠	٣٠	القياسات	القياساتِ
١٧١	٤	الهوى	الهواء
١٧٢	١٧	والقرء	والزاء
١٧٣	١٠	فبارة	اصلح الفاء
١٧٥	٣	ذك	ذلك
١٧٧	٥	ضدين	ضدان
١٧٨	٢٠	ائل	اقل
١٨٤	١٣	تقنطهُ	تقنطهْ
١٨٦	٩	فصبت قراءته	قصبت قراوته
١٨٧	٥	الدرس النفساني	النفسيّ
١٨٧	١٧	عمد اذاك	عمد اذ ذاك

ص	سطر	خطأ	صواب
١٨٨	٩	ليلةِ	ليلةُ
١٩٠	١١	الحنث	الحنث
١٩١	١٤	ادنا	ادنى
١٩٣	١٠	بكثرة	بكثرة
١٩٦	١٠	ينثمون	بنثمون
١٩٧	١٤	بالقانيكان	بالقانيكان
١٩٧	١٥	بصدد البحث	البحث
١٩٧	٢٦	بخاصة	خاصة
٣٩٨	٣	الثرى	الثرا (الثراء)
٣٩٩	٣	مستحضرا	مستضرا
٤٠٤	٧	لاقيتِ	لاقيتُ
٤١١	٢٠	بنضى الظبا	بنضو الظُبى
٤١٧	١	ابن	ابن

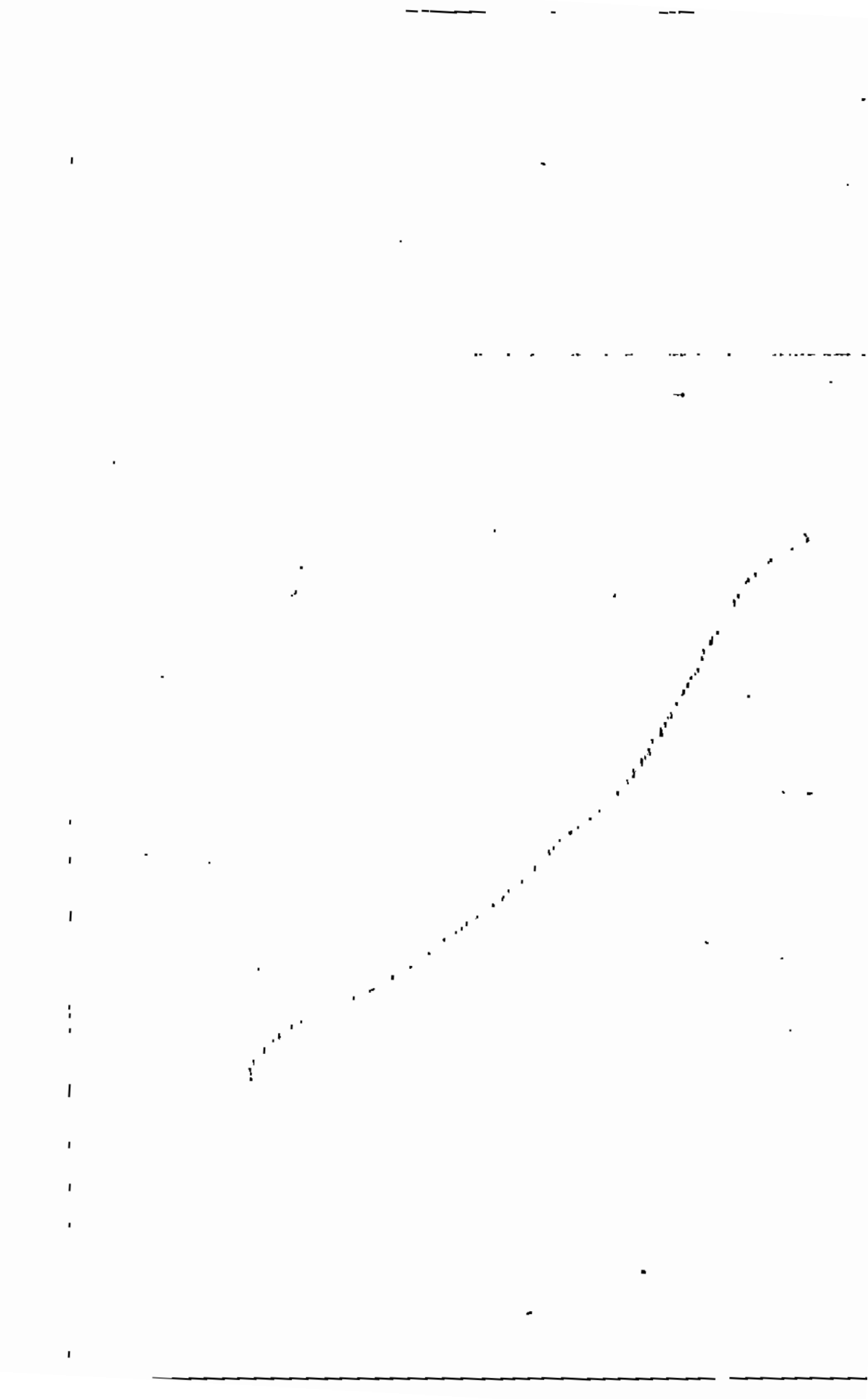

AL-MACHRIQ

REVUE CATHOLIQUE ORIENTALE
PARAISSANT TOUS LES DEUX MOIS

SCIENCES. LETTRES. ARTS

Sous la direction
des Pères de la Compagnie de Jésus
UNIVERSITÉ SAINT-JOSEPH

Quarante-huitième année
1954

BEYROUTH
IMPRIMERIE CATHOLIQUE
1954

TABLE DES SOMMAIRES

XLVIII[e] ANNÉE, 1954

◆

JANVIER - FÉVRIER

La fabrication du papier en Islam (p. 3) : *Mr Habib Zayat.*

Documents inédits (p. 31) : *P. Antoine Chébli.*

Maymar de Jacques de Sarūğ (p. 46) : *Dr Georges Graf.*

L'Hypocondrie (manuscrit) (p. 50) : *P. Antoine Chébli.*

La « Chronique » d'al-Duwaihī (p. 77) : *Mgr Michel Rajji.*

Chant de Noël de Romanos le Mélode (p. 82) : *P. Nicolas Kadry R. B.*

Frédéric Ozanam (p. 101) : *P. Ignace Sarkis R.B.*

Les Événements (p. 116) — Les Livres (p. 119).

MARS - AVRIL

Yuḥanna aš-Šāmī az-Zarbābī, connu sous le nom d'Ibn Ġorair (p. 129) : *Mgr Michel Rajji.*

Documents inédits (p. 157) : *P. Antoine Chébli.*

Le livre de l'explication d'al-Āmidī (p. 169) : *Pères* W. *Kutsch* et *I.-Abdo Khalifé S.J.*

Le livre de l'esseulement et de la montée d'al-Muḥāsibī (p. 182) : *P. I.-Abdo Khalifé. S.J.*

Le quatrième centenaire de l'Université pontificale Grégorienne (p. 192) : *P. I.-Abdo Khalifé S.J.*

Le fleuve du chien (p. 199) : *P. Louis el-Khazen.*

Les infiniment petits chimiques (p. 204) : *P. Charles Neyron S.J.*

Les Livres : Le mouvement intellectuel au Liban et en Syrie (p. 208) : *P. Ferdinand Taoutel S.J.*

Les Événements (p. 255).

MAI - JUIN

Aux pieds de Marie Immaculée (p. 261) : *P. I.-Abdo Khalifé S. J.*

Poèmes (p. 266) : *P. Arsânios Fakhoury.*

L'Immaculée-Conception dans l'Église syrienne (p. 271) : *P. Ishac Armalé.*

L'Immaculée-Conception et les docteurs de l'Église syrienne orthodoxe (p. 285) : *P. Ishac Armalé.*

Poème (p. 290) : *Mr Nabih Saer.*

L'Immaculée-Conception dans l'Église maronite (p. 292) : *P. Joseph Hobeica.*

Poème (p. 329) : *Mgr Germanos Farhat.*

L'Immaculée-Conception dans l'Église byzantine (p. 332) : *P. Nicolas Kadry R. B.*

La Vierge Marie dans la littérature médiévale de l'Arménie (p. 346) : *P. Jean Mécérian S. J.*

L'Immaculée-Conception dans la Tradition Orientale (p. 380) : *P. Fern. de Lanversin S. J.*

JUILLET - OCTOBRE

Documents inédits (p. 393) : *P. Antoine Chébli.*

Le « Chronicon syriacum » de Barhaebreus (p. 418) : *P. Ishac Armalé.*

La fabrication du papier en Islam (p. 458) : *Mr Habib Zayat.*

Le schisme de Photius — Histoire et légende (p. 499) : *P. Jean Capellos S. J.*

Manuscrit sur l'histoire du Chouf de H. Munayyar (p. 529) : *P. Ignace Sarkis R. B.*

Les mots d'origine étrangère dans la langue arabe (p. 541) : *P. Raphaël Nakhla S. J.*

Habib Zayat (p. 564) : *P. I.-Abdo Khalifé S. J.*

Les Livres (p. 569) — Les Événements. (p. 620).

NOVEMBRE - DECEMBRE

La fabrication du papier en Islam (p. 625) : *Mr Habib Zayat.*

Documents inédits (p. 654) : *P. Antoine Chébli.*

Manuscrit sur l'histoire du Chouf de H. Munayyar (p. 671) : *P. Ignace Sarkis R. B.*

Le Dictionnaire d'al-Ala'ili (p. 696) : *Mr Mansūr abi Sālih.*

Hymnes pour Noël (p. 705) : *P. Arsānios Fakhoury.*

Le P. Ishac Armalé (p. 714) : *P. I.-Abdo Khalifé S.J.*

Le 23e Congrès International des Orientalistes (p. 719) : *P. I.-Abdo Khalifé S.J.*

L'Immaculée Conception dans la tradition orientale (p. 724) : *P. Fern. de Lanversin S.J.*

Les Livres (p. 734) — Index Généraux (p. 737).